أحمد عليوي صاحب

المنهج النقدي
عند ابن حجر العسقلاني
(ت 852 هـ/ 1448م)

دراسة للحياة السياسية والإدارية والعلمية والاجتماعية

للنشر والتوزيع
2019

المنهج النقدي
عند ابن حجر العسقلاني
(ت 852 هـ/ 1448م)

إهـــداء

إلى من أفتخر بحمل اسمه طوال عمري...

إلى من علمني وأرشدني ووضعني على الطريق القويم...

وزرع في نفسي الأمل والعفو التسامح...

مثلي الأعلى...

والدي الكريم..

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	**11**
التمهيد: ملامح الحياة السياسية والفكرية في مصر خلال القرن التاسع الهجري	**23**
الفصل الأول: المكانة العلمية لابن حجر	**47**
أولًا: سيرته	**48**
ثانيًا: ثقافته	**50**
ثالثًا: مؤلفاته	**51**
رابعًا: منهجه في النقد التاريخي	**52**
الفصل الثاني: نقد الجانب السياسي	**77**
أولًا: نقد أصحاب القرار السياسي	**80**
ثانيًا: نقد القضاة	**85**

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث: نقد الجانب الإداري	**91**
الفصل الرابع: نقد الجانب العلمي	**105**
أولًا: نقد رجال الدين	**106**
ثانيًا: نقد المؤرخين	**119**
ثالثًا: نقد الأدباء واللغويين	**123**
الفصل الخامس: نقد الجانب الاجتماعي	**137**
الخاتمة	**147**
قائمة المصادر والمراجع	**151**

تمهيد

الحياة السياسية والفكرية في مصر خلال القرن التاسع الهجري

أولاً: الحياة السياسية

حكمت مصر والشام طبقة عسكرية أرستقراطية وهي طبقة المماليك[1]، وقد قام المماليك بإحياء الخلافة العباسية سنة(659هـ/ 1260م)، بمبايعتهم المستنصر بالله وذلك لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم، وكان أصل المماليك في الغالب من الأتراك القفجاق أو من الشركس القوقاز[2] وكان ابتداء حكمهم لمصر بعد زوال الدولة الأيوبية سنة (648هـ/ 1250م).

(1) المماليك، جمع مملوك، وهو يقصد به العبد أو الرقيق، أو هو كل ما ملك واختص في العرف بالرقيق من البشر، والمملوك أصلًا من الامتلاك للشيء، وكان مصدرهم الشراء والأسر في ميدان القتال، ثم الهبات والإهداء وفي شكل ضريبة أو جزية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4 / ص471-472؛ عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص 13.

(2) سليمان، تأريخ الدول الإسلامية، ج1/ ص159.

وكان العامل السياسي هو الذي دفع الصالح نجم الدين أيوب إلى جلب المماليك والاهتمام بهم وإسكانهم جزيرة الروضة[1]، وذلك لحاجته إلى جيش قوي يسانده- للسيطرة على الدولة ودفع خطر التهديدات الخارجية، لإسكانهم فيها، لذلك سموا بـ(المماليك البحرية)، وكان معظم هؤلاء من الأتراك القفجاق (شمالي البحر الأسود)[2].

وكان للظروف السياسية التي أحاطت بالمنطقة والمتمثلة بحملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة(647هـ/ 1249م) وخطر الصليبين ودور المماليك للتصدي لهم والانتصار عليهم في معركة

(1) جزيرة الروضة: تقع بين مدينة مصر ومدينة الجيزة، وعرفت في أول الإسلام بالجزيرة، وبجزيرة مصر ثم جزيرة الحصن، وعرفت إلى اليوم بالروضة. ينظر: المقريزي، الخطط، ج 2/ ص787.

(2) الخطط، ج2/ ص234.

المنصورة[1] ثم معركة فارسكور[2] في العام نفسه[3]، دور كبير في وصول المماليك إلى السلطة[4].

وعلى إثر ذلك قامت دولة المماليك البحرية سنة(648هـ/ 1250م) وكان من أشهر سلاطينها المعز أيبك، وسيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وسيف الدين قلاوون، وغيرهم من السلاطين[5] حيث بلغ عددهم ثمانية وعشرين سلطانًا آخرهم السلطان الصالح زين حاجي بن شعبان الذي خلفه برقوق الشركسي في الحكم سنة (784هـ/ 1382م)[6].

أما المماليك الشراكسة فهم عناصر قوقازية موطنهم الأصلي المنطقة الواقعة شرق البحر الأسود، وقد تعرضت بلادهم إلى غزو

(1) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب بين دمياط والقاهرة سنة 616هـ/ 1219م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص 310؛ الحميري، الروض المعطار، ص 549.

(2) الفارسكور: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 5/ 228؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 31.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6/ ص364-379.

(4) الهمذاني، جامع التواريخ، ج 2/ ص310.

(5) المقريزي، الخطط، ج 2/ ص 236؛ سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص 19.

(6) المقريزي، الخطط، ج2/ ص240؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11/ ص221.

التتار في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فازدادت أعدادهم في أسواق الرقيق[1].

وإذا ما علمنا بأن السلاطين البحرية كانوا أتراكًا فالبرجية شراكسة، باستثناء اثنين منهم، وهما خشقدم وتمربغا فهما روميان، وقد سموا بالبرجية؛ لأنهم أقاموا في أبراج القلعة بالقاهرة[2]، ويرجع تكوينهم كفرقة جديدة إلى بداية حكم السلطان المنصور قلاوون (668-689هـ/ 1279-1290م) الذي أكثر من شراء الشراكسة ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده[3].

قام السلطان المنصور قلاوون بتربية المماليك تربية عسكرية، وحرص على عدم مغادرتهم القلعة، أما في عهد ابنه الأشرف خليل (689-693هـ/ 1290-1293م)، سمح لهم بالنزول من القلعة أثناء النهار فقط، وهذا ما أدى إلى أمرين الأول: انغماسهم في الحياة العامة، والآخر: أنهم لم يلبثوا أن استثاروا حقد سائر طوائف الأتراك بسبب ما أصبحوا فيه من نعمة ومكانة رفيعة عند قلاوون وابنه خليل[4]، وبعد مدة أصبحت أعداد هؤلاء الشراكسة كثيرة

(1) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1/ ص420-421؛ العريني، المماليك، ص 63.

(2) فروخ، تأريخ الأدب العربي، ج3/ ص 88.

(3) المقريزي، الخطط،ج 2/ ص 241.

(4)المصدر نفسه، ج2 / ص213.

وغدوا أصحاب رتب عسكرية فمنهم الأمراء والقادة وفي نهاية المطاف استطاعوا أن يتسلموا السلطنة وأن يحكموا البلاد[1].

وأول سلاطين الشراكسة هو الظاهر برقوق(784-791هـ/ 1382-1388م)، وينسب إلى الخواجا فخر الدين العثماني أحد كبار الرقيق الذي جلبه إلى مصر[2]، وبذلك قامت دولة المماليك الشراكسة وامتدت للفترة (784-923هـ/ 1382-1517م)[3]، وفي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله وإحلال الخليفة المتوكل محله، لكنه اكتشف هذه المؤامرة، فعزل الخليفة المتوكل وأحل محله الخليفة الواثق بالله[4]، وإن هذه المؤامرة دفعته إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم، وبخاصة المماليك البحرية الأتراك، فطرد عددًا كبيرًا منهم من وظائفهم ونفى بعضهم إلى الشام، وقد أفرزت هذه الإجراءات ثورة ضد برقوق سنة (791هـ/ 1388م) قادها منطاش[5] نائب

(1) شاكر، التأريخ الإسلامي- العهد المملوكي،ج7/ ص 70.
(2) ابن خلدون، العبر، ج5/ ص473؛ المقريزي، السلوك،ج 3/ ص 476.
(3) المقريزي، المصدر نفسه، ج 3/ ص477؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج 1/ ص40-41.
(4) ابن حجر، إنباء الغمر، ج 1/ ص200-201.
(5) هو تمربغا بن عبد الله الأشرفي المعروف بمنطاش ولاه الظاهر برقوق نيابة ملطية الواقعة إلى الشمال من حلب فلم يلبث أن عصا الطاعة حتى مات قتيلًا على يد أعوان الظاهر نفسه. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ =

ملطية[1]، ويلبغا الناصري[2] نائب حلب، وأدت بالنتيجة إلى إلقاء القبض على برقوق ونفيه إلى الكرك[3].

وبعد نفي برقوق استمر النزاع بين الأميرين منطاش ويلبغا مما أعطى برقوقًا الفرصة لاسترداد مكانته، استطاع بمساعدة أصدقائه تحرير نفسه والهرب من سجنه من حصن الكرك وجمع جيشًا وأنزل الهزيمة بأعدائه عند صرخد[4] سنة (792هـ/ 1389م) ثم دخل القاهرة[5].

= ص264؛ العيني، السيف المهند، ص63؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11/ ص ص373-376.
(1) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم بلاد الشام وحاليًا تقع في تركيا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5 / ص192.
(2) يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاري توفي قتيلًا بقلعة حلب وهو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق التي خلع الملك الظاهر فيها من الملك وحبس بالكرك، وكان أصلهُ من أكابر مماليك يلبغا العمري أستاذ برقوق، وتولى في أيام أستاذه أمرة طبلخاناه، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف بالقاهرة في دولة الملك الأشرف شعبان. عنه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 11/ ص332 -333.
(3) العيني، عقد الجمان، ج 24/ ص289.
(4) صَرخَدُ: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والدال مهملة، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص87.
(5) المقريزي، السلوك،ج 3/ ص464؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص365.

وبذلك بدأت الفترة الثانية من حكم برقوق للمدة من (792-801هـ/ 1389-1398م)، وفي هذه المدة انشغل بالقضاء على الثورات والفتن الداخلية، مع إجراء العديد من الإصلاحات الداخلية، فأبطل الضرائب على الثمار والفواكه، في الوقت الذي كان فيه تيمورلنك يزحف على بلاد الشام، مما اضطر برقوق لقيادة جيشه لمواجهة التتار الذين ما إن سمعوا بمسيرة الجيش المملوكي حتى فضلوا العودة وكفوا عن الزحف إلى أملاك الدولة الشركسية[1].

وفي سنة (801هـ/ 1398م) وقبل وفاته عهد بالسلطنة لابنه فرج الذي حكم مرتين الأولى من (801-808هـ/ 1399-1405م) لكنه تنازل عن السلطة بسبب الفتن والثورات الداخلية التي أضرم نارها الأمراء فيما بينهم بسبب أطماعهم وأحقادهم، فاتفق الأمراء على تولية أخيه عز الدين عبد العزيز بن برقوق عام (808هـ/ 1405م) والذي لم يحكم إلا ما يقارب ثلاثة أشهر، بسبب سيطرة الأتابك بيبرس[2] على شؤون الحكم وهنا اتفقوا على

(1) المقريزي، السلوك، ج3/ ص477؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج1/ ص42-44.

(2) بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي البندقداري، سلطان الديار المصرية، ولد سنة 620هـ/ 1223م، وأخذ من بلاده صغيرًا وأبيع بدمشق، فنشأ بها عند العماد الصائغ، ثم اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، وبقي في ملكه=

إعادة فرج إلى الحكم فعاد للمرة الثانية وحكم من سنة (808-815هـ/ 1405-1412م)، وسادت الفتن والاضطرابات في عهده وحدث قحط عام في البلاد مصحوبًا بالوباء مما أدى إلى وفاة ثلث السكان، ولكن جاءت نهايته على يد أميرين من أمراء الشام هما شيخ المحمودي[1] ونوروز الحافظي[2] اللذان تمكنا من هزيمة فرج وإعدامه[3].

= إلى أن قبض الملك الصالح على أيدكين وصادره، وأخذ بيبرس هذا فيما أخذه منه، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين، واستمر بيبرس على ذلك إلى أن مات الملك الصالح نجم الدين. ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج 3/ ص447-448.

(1) شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري، السلطان الملك المؤيد، سيف الدين أبو النصر الجاركسي. الرابع من ملوك الشراكسة، والثامن والعشرون من ملوك الترك، تولى السلطة 815هـ-824هـ/ 1412-1421م. ينظر: المصدر نفسه، ج6/ ص263-263.

(2) نوروز الحافظي الظاهري، أول ما رقاه السلطان برقوق خاصكيا ثم أمير آخور عوضًا عن بكلمش سنة 800هـ/ 1397م، وكان قبل ذلك أمره رأس نوبة، ثم رام القيام على السلطان فنم عليه بعض المماليك فقبض عليه في صفر سنة 801هـ/ 1398م، وقيد وحمل إلى إسكندرية فسجن بها ثم نقل إلى دمياط ثم أفرج عنه في التي بعدها واستقر رأس نوبة كبيرًا وصار ناظر الشيخونية وحضر قتال إيتمش، ورجع مع المنهزمين واستقر يتنقل في الفتن. السخاوي، الضوء اللامع، ج10/ ص204.

(3) الصيرفي، نزهة النفوس، ص 44؛ سليم، عصر سلاطين المماليك، ج1/ ص46.

فأعُطيت بلاد الشام لنوروز، أما شيخ المحمودي فتم تعيينه سلطانًا على مصر باسم (المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي) الذي حكم سنة (815-824هـ/ 1412-1421م)، وقد حدث نزاع بينه وبين صديقه نوروز نائب الشام، فما كان من المؤيد شيخ المحمودي إلا أن عبّأ الجند وحملهم إلى الشام، فهزمه وقبض عليه وحز رأسه ثم عاد إلى مصر، وبعدها تكررت ثورات أمراء الشام عليه فشدد عليهم وقتل منهم عددًا كبيرًا، ثم مرض وتوفي سنة (824هـ/ 1421م)[1].

تولى السلطنة من بعده ابنه المظفر أبو السعادات أحمد سنة (824هـ/ 1421م) والذي لم يحكم سوى ثمانية أشهر، وكان صغيرًا، يبلغ من العمر سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام، وبقي بالحكم ثمانية أشهر، فدبر الأمور له طط الشركسي وأخذ يمهد لسلطنته من بعده وذلك بان تزوج من أم السلطان ثم قام بخلعه بعد ذلك وظل المظفر مسجونًا حتى توفى مطعونًا وهو في العاشرة من عمره[2].

وبهذا تولى الظاهر أبو الفتح طط الظاهري الشركسي السلطنة، وهو من مماليك برقوق لكنه لم يدم في السلطنة إذ توفي في عام توليته[3].

(1) العيني، السيف المهند، ص 305؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج 2/ ص 2.
(2) ابن إياس، المصدر نفسه، ج2/ ص 10؛ زيدان، تأريخ،ج 1/ ص 371.
(3) العيني، الروض الزاهر، ص 34.

وبعد الظاهر طط تولى السلطنة ابنه الصالح ناصر الدين محمد بن طط (824-825هـ/ 1421-1422م) حيث بويع بالسلطنة وعمره حينئذ إحدى عشرة سنة فدبر له الأمر الأتابك جانبك الصوفي[1] وكان لهذا الأتابك أعداء من الأمراء يتزعمهم برسباي الدقماقي[2] الذي تمكن من القبض على جانبك وسجنه بالإسكندرية، ثم خلع السلطان الصبي وتسلطن محله[3]، وبذلك تسلم الأشرف برسباي عرش السلطنة سنة (825-841هـ/ 1422-1438م)، وقد قضى على الثورات الداخلية.

أما على الصعيد الخارجي فقد غزا قبرص وهزم ملكها، وبعد وفاته خلفه ابنه الملك العزيز يوسف بن برسباي سنة (841-842هـ/ 1438م) ثم خلع في العام نفسه[4]، وتولى بعده الظاهر

(1) جانبك الصوفي الظاهري برقوق صاحب تلك الوقائع والحروب، فر من محبسه بالإسكندرية وأعيا السلطان، وامتحن جماعة بسببه إلى أن ظهر عند ابن دلغادر، مات في منتصف ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين واختلف في سبب قتله، وكان ظالمًا عاتيًا جبارًا لم يعرف بدين ولا كرم. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج3/ ص57.
(2) الأشرف برسباي بن عبد الله، أبو النصر الدقماقي الظاهري الجاركسي، سلطان الديار المصرية، الثاني والثلاثون من ملوك الترك، والثامن من ملوك الشراكسة، أخذ من بلاد الجاركس. المقريزي، درر العقود، ج1/ ص456-457؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3/ ص255-256.
(3) الصيرفي، نزهة النفوس، ص 50؛ زيدان، تأريخ، ج1/ ص371.
(4) ابن إياس، بدائع الزهور،ج 2/ ص 24.

جقمق العلائي سنة (842-857هـ/ 1438-1453م)، وقد همَّ الأتابك قرقماس الشعباني[1] بأن ينقض على السلطان وينتزع منه السلطنة فوقعت بين الفريقين معركة شديدة في جهة الرميلة انهزم فيها قرقماش، وهرب ثم قبض عليه السلطان وسجنه، ثم قتله سنة(812هـ/ 1409م)، وقضى على العديد من الثورات الأخرى، وبعدها عاشت البلاد في كنفه زمنًا هادئًا، ثم مرض فتنازل عن العرش لابنه عثمان[2].

لم يدم حكم عثمان طويلًا إذ تم خلعه في العام نفسه وتولى السلطنة الأشرف إينال العلائي سنة (857-865هـ/ 1435-1461م)، وقد ساد في عهده الهدوء وقلت خلاله الاضطرابات الداخلية لبعض الوقت، ثم اندلعت تمردات الأمراء ومنها تمرد عام(859هـ/ 1437م)، لكنه تمكن من إخمادها، ثم مرض وتنازل عن العرش لابنه أحمد سنة (865هـ/ 1461م)، لكنه خلع بعد فترة قصيرة[3].

(1) قرقماس الشعباني الظاهري برقوق، ويعرف بقرقماس أهرام ضاغ يعني جبل الأهرام لتكبره. أصله من كتابية الظاهر ثم ملكه ابنه فأعتقه وعمله خاصكيًا ثم صار في دولة المؤيد من الدوادارية الصغار ثم تأمر بعده عشرة ثم دوادارًا ثانيًا مع إمرة طبلخاناه، ثم سافر مع السلطان إلى آمد فلما رجع استقر به في نيابة حلب. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج3/ ص276.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج2/ ص24.

(3) المصدر نفسه،ج 2/ ص 37؛ الخربوطلي، مصر، ص 322.

استلم السلطنة بعده الظاهر خشقدم الناصري سنة (865-872هـ/ 1461-1467م)، وهو رومي اشتراه الملك المؤيد واعتقه وصار خاصكيًا عنده، ثم تنقلت به الدولة إلى أن جعله إينال أتابكيًا لولده فخلعه بعد خمسة أشهر وتسلطن مكانه، وبدأ حكمه بالقبض على الملك المؤيد أحمد بن اينال وسجنه مع أخيه في ثغر الإسكندرية، ثم أرضى الأمراء والجند وفرق عليهم أموالًا طائلة، ومن أعماله أيضًا إرساله حملة لتأديب الفرنجة في رودس[1]، بعدها مرض في عام(872هـ/ 1467م) وتوفي في العام نفسه[2].

تولى السلطنة بعده الظاهر بلباي المؤيدي (872هـ/ 1467م) وبعد سبعة وخمسين يومًا تم خلعه. وجاء بعده الظاهر تمربغا الناصري (872هـ/ 1467م)، لكنه خلع بعد أن حكم المدة نفسها، ثم تولى الأشرف قايتباي السلطنة، ويُعد أكثر من حكم من المماليك الشراكسة حيث دام حكمه(29) سنة من (872-901هـ/ 1468-1496م)، ومن أعماله أنه أصلح بعض المساجد كالجامع الأزهر، والحرم النبوي الشريف، وأنشأ برجًا عظيمًا يكون كالحصن لمدينة الإسكندرية[3].

(1) رودس: جزيرة ببلاد الروم مقابل الإسكندرية، وهي أول بلاد الإفرنجة، وهي دار صناعة الروم وبها تبنى السفن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص78؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2/ ص639-640.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور،ج 2/ ص 70.

(3) العصامي، سمط النجوم، ج2/ ص303-305.

وبعد وفاة قايتباي جاء ابنه الناصر محمد سنة (901-902هـ/ 1496-1497م) الذي لم يدم حكمه إلا عامًا واحدًا، فجاء بعده الظاهر قانصوه (902هـ/ 1497م)[1]، لكنه قتل بعد ثلاثة أيام من توليه السلطنة، ثم أعيد محمد بن قايتباي للمرة الثانية (902-904هـ/ 1497-1498م)[2] وبعد سنتين تم قتله وتسلطن الظاهر قانصوه الأشرفي (904-905هـ/ 1498-1500م) إلا أنه خلع، فجاء الأشرف جان بلاط بن يشيك الأشرفي (905-906هـ/ 1500-1501م) لكنه مات مقتولًا[3]، فتولى الحكم العادل طومان باي (906هـ/ 1501م) وبعد ثلاثة أشهر مات مقتولًا فحكم بعده الأشرف قانصوه الغوري (906-922هـ/ 1501-1516م)[4]. وقد انشغل باعتداءات العثمانيين وسلطانهم سليم وخاض معهم معركة (مرج دابق) في رجب من عام (922هـ/ 1516م) التي انتهت بهزيمة المماليك[5].

تولى السلطنة من بعده الأشرف أبو النصر طومان باي الثاني (922-923هـ/ 1516-1517م))[6] الذي أخذ يعد العدة

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1/ ص87.
(2) المصدر نفسه، ج1/ ص71-77.
(3) العصامي، سمط النجوم، ج2/ ص307.
(4) المصدر نفسه، ج2/ ص207؛ سليم، الأشرف قانصوه الغوري، ص 33.
(5) الجبرتي، عجائب الآثار، ج1/ ص65.
(6) الغزي، الكواكب السائرة، ج1/ ص12.

للخروج لقتال العثمانيين، ووقعت (معركة الريدانية) في أواخر عام(922هـ/ 1516م) التي انتهت بهزيمة طومان باي ودخول العثمانيين مصر وانهائهم حكم دولة المماليك الشراكسة، وبدء عهد الاحتلال العثماني[1].

ثانيًا : الحياة الفكرية

شهدت مصر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ازدهارًا ونشاطًا فكريًّا، بدليل كثرة المراكز العلمية والتعليمية المتعددة والمتنوعة، وكثرة العلماء، ومؤلفاتهم، وقد أثّر هؤلاء العلماء في واقع أمتهم، وكان السبب في ذلك هو الأمان والاستقرار الذي وجده العلماء في مصر، وهو ما يتلائم مع توجهاتهم، لذا استقر في القاهرة ومدن مصر الأخرى الكثير من العلماء[2].

لهذا تميز هذا العصر بازدهار شتى العلوم والمعارف، ويعود ذلك إلى اهتمام السلاطين المماليك للعلم والعلماء لاسيما علماء الدين حيث أشير إلى أن سلاطين العصر المملوكي أقاموا وزنًا كبيرًا لهم،

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج3/ ص101.
(2) ينظر عن العلماء الذين لجئوا إلى مصر والشام. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص10- 14، 24، 31، 121-130؛ ج2/ ص8، 28، 41-59؛ ج3/ ص17، 43، 97، 180، 203، 234، 420،290، 429؛ ج4/ ص27، 47، 106، 128، 148، 331، 347، 417.

وقد استشاروهم مرارًا في أمور الدولة العليا، وسمعوا شكاواهم إذا تقدموا إليهم بها، والحقيقة أن العلماء لم يبلغوا هذه المكانة عن فراغ وإنما بلغوها بسبب حاجة السلطة المملوكية لهم، إذ كلما كانوا بقربهم كسبوا الرأي العام وأسكتوا الأصوات المعارضه لهم[1]، فقد ذكر أن السلطان برقوق لما أنشأ مدرسته، وقرر فيها شيوخًا يتولون التدريس كان من بينهم علاء الدين السيرامي (ت790هـ/ 1388م) الذي بالغ برقوق في تعظيمه حتى فرش له السجاد بيده[2].

لقد اهتم أمراء وسلاطين المماليك بإنشاء المدارس والمراكز العلمية المتمثلة بالمساجد والزوايا وهذه المراكز تعد سببًا أساسيًّا في تنشيط الحركة العلمية لما ضمته من مدرسين وطلاب ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئات الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر[3].

فالسطان المؤيد شيخ (815-824هـ/ 1412-1420م)، الذي كان يتجلى دوره في هذا المجال كما يقول السخاوي "... وكان يحب العلماء ويجالسهم ويكرمهم ويعظم الشعر وحملته "[4]،

(1) سليم، عصر سلاطين المماليك، ج3/ ص 21-27.
(2) المقريزي، السلوك، ج3/ ص588؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص328-329؛ ابن العماد، شذرات، ج7/ ص286 – 288.
(3) سليم، عصر سلاطين المماليك، ج3/ ص 21-27.
(4) الضوء اللامع، ج3/ ص309.

والسلطان الملك الظاهر ططر (824هـ/ 1420م)، "كان يتذوق العلوم والفنون، ومعاشرة الفضلاء والأدباء "[1].

أما الملك الظاهر جقمق (842-857هـ/ 1438-1453م) فيقول السخاوي عنه: "ذا إلمام بالعلم واستحضار في الجملة لكثره تردده للعلماء في حال إمرته ورغبته في الاستفاده "[2].

وكذلك من سلاطين المماليك ممن كان حريصًا" على عقد المجالس العلمية والأدبية في بلاط ملكه، فالملك الأشرف برسباي (825-842هـ/ 1421-1438م):" كان يحب الاستماع إلى العيني في مجلسه وهو يقرأ علية التاريخ التركي وقصصه باللغه العربية ثم يفسر له ذلك، وذلك لمعرفه العيني كلتا اللغتين..."[3].

وهناك البعض من السلاطين المماليك اتجهوا إلى الاشتغال بالعلم بعد عزلهم من مناصبهم، واهتموا بمختلف فنونه ومنهم الملك العزيز يوسف بن برسباي (841-842هـ/ 1437-1438م)[4]، الذي يقول عنه السيوطي "ثم خلع في السادس عشر

(1) العيني، الروض الزاهر، ص21؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج14/ ص210.
(2) الضوء اللامع، ج 3/ ص72.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،ج 16/ ص9-10.
(4) يوسف بن برسباي الدقماقي، السلطان الملك العزيز أبو المحاسن بن السلطان الملك الأشرف أبي النصر، ولد سنه 807هـ/ 1404م، وولي السلطنة في سنه841هـ/ 1437م، ثم خلع، مات في سنه 868هـ/ 1463م. ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص179.

من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وسجن بالإسكندرية، ونظر في فنون العلم والأدب"[1]، وكذلك السلطان المملوكي أحمد بن إينال العلائي (865هـ/ 1460م)[2]، الذي خلع في السابع عشر من رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ونقل إلى الإسكندرية واشتغل بالعلم مدة إقامته بها[3].

وفي السياق ذاته يجد المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر نفسه أمام ثروة علمية واسعة تتمثل في تلك المجموعة الكبيرة من العلماء الذين برزوا في تلك المدة في شتى فروع العلم والمعرفة لعلماء وأدباء ومفكرين كان لهم أثر كبير في الحركة الفكرية، ويقف في مقدمتهم القلقشندي (ت821هـ/ 1418م) صاحب المؤلفات المتعددة[4]، وتقي الدين المقريزي (845 هـ/ 1441م) مؤرخ الديار المصرية[5]، وابن حجر العسقلاني (ت852هـ/ 1448م)، الذي

(1) المصدر نفسه .

(2) أحمد بن إينال العلائي، الملك المؤيد أبو الفتح بن الملك الأشرف، ولد بعد سنة 830هـ/ 1425م، تولى السلطنة أثناء مرض أبيه في سنة 865هـ/ 1460م، ثم خلع منها وكانت أيام سلطنته في غاية الحسن، توفي سنه 893هـ / 1391م، السيوطي، نظم العقيان، ص40.

(3) المصدر نفسه، ص40.

(4) السخاوي، الضوء اللامع،ج 2/ ص8، ج6/ ص322.

(5) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1 / ص394؛ السخاوي، المصدر نفسه، ج2/ ص21.

كان من أعلام مصر المشهورين وإمام عصره ووحيد دهره[1]، والعيني (ت 855هـ/ 1451م) الذي كان له معرفه عالية في علوم مختلفة[2]، والمؤرخ ابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1469م) الذي يعد بحق مؤرخًا للمماليك من خلال مؤلفاته العديدة في هذا المجال[3]، وكذلك خلف لنا السخاوي (ت 902هـ/ 1496م)، أبرز موسوعة تاريخيه في بيان الحالة العلمية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي والمتمثلة في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)[4].

وبهذا يمكننا أن نلخص عدة عوامل وقفت وراء ذلك النشاط الفكري في تلك الفترة:

- الخطر المغولي الذي امتد من أواسط آسيا إلى شمالها مكتسحًا ما أمامه من بلاد المسلمين، وأثخن في أرضهم وقتل كثيرًا من أهلها، وآتى خراسان ما تقشعر منه الأبدان[5]، ثم وصل إلى

(1) السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص36-40.

(2) المصدر نفسه، ج10/ ص132-133.

(3) ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج2/ ص80؛ ضاحي، كتاب النجوم الزاهرة، ص78.

(4) ابن العماد، شذرات الذهب،ج 7/ ص317 .

(5) ابن الأثير، الكامل في التأريخ، ج12/ ص390؛ ابن خلدون، العبر، ج5/ ص518.

العـــراق[1]، ومنها إلى بـلاد الـشام التـي لبثـت مـسرحًا للنزاع بين التتار والمماليك، فكان لابـد للمـسلمين مـن أن يلتفوا حول المدافعين عنهم من سلاطين المماليك ملتمسين فيهم الزعامة التي تدافع عنهم، وكانت مـن أهـم وسـائل تدعيم الملك، إحيـاء العلـوم والمعـارف فاجتهـد في ذلـك علماء المسلمين[2].

- غيرة السلاطين والأمراء على الدين الإسلامي، وقد تجلـت الغيرة الدينية عند السلاطين فيما أفاضـوا مـن معونـة ومـا بذلوا من رعاية للبيت الحرام وسـكان الحجـاز ولغـيرهم من أهل البلاد الإسلامية القريبة والبعيدة[3].

- إنهاء الخلافة العباسية، بعد قتل الخليفة العباسي المستعـصم بالله من قبل التتار، وقد أصابها الـوهن والـضعف، وبهـذا فقد تطلع المسلمون إلى إحياء خلافة جديدة، تعيد الـسيرة في جمع القلوب وفي الرمز إلى الصلة الدينية، فكـان طبيعيًّـا أن تتطلـع نفـوس أهلهـا إلى إعـادة هـذا الرمـز الروحـي

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ ص 200؛ الغساني، العـسجد المـسبوك، ج1/ ص630.
(2) سليم، عصر، ج 3/ ص 17.
(3) سليم، عصر، ج3/ ص20-21؛ فليح، التعليم في ظل دولة المماليك، ص 384.

الجليل، فأسسها الظاهر بيبرس سنة (659هـ/ 1261م) وذلك بعد أن لجـأ الخليفـة العبـاسي (المستنـصر بـالله أبـو القاسم أحمد بن الظاهر) إلى الظاهر بيبرس مـن بغـداد[1]، ولولا زوال خلافة بغداد، وتجديدها بمصر كان له أثـره في الحركة الفكرية[2].

- قتل العلماء وإتلاف الكتب العلميـة والأدبيـة، قتـل التتـار كثيرًا من علماء المسلمين، واتلفـوا كثـيرًا مـن دور الكتـب العامة والخاصة، وهنا ما كان من العلماء إلا الاسـتقرار في كنـف سـلاطين مـصر الـذين لقـوا في جـوارهم الأمـن والسلامة والعيش الهادئ[3].

- تعظيم سلاطين مصر للعلم والعلماء، والحقيقة أن العلماء لم يبلغوا هذه المكانة عن فراغ وإنما بلغوها عن تفقه في الدين وتعمق في العلم وتمـسك بالزهـد والـورع والثبـات عـلى الرأي إذا ما وجد فيـه الـصواب، فقـد ذكـر أن الـسلطان برقوق لما أنشأ جامعه وقرر فيه شـيوخًا يتولـون التـدريس كـان مـن بيـنهم عـلاء الـدين الـسيرامي (ت 790هـ/ 1388م) الذي بـالغ برقـوق في تعظيمـه حتـى فـرش لـه

(1) ابن كثير، البداية، ج 13/ ص 231؛ باشا، تقويم، ج 1/ ص 155.
(2) سليم، عصر، ج3/ ص 20.
(3) سليم، عصر، ج3/ ص 17-18.

السجاد بيده، أما السلطان المؤيد شيخ المحمودي لما أنشأ جامعه وقرر فيه عددًا من المدرسين كان من بينهم شهاب الدين بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/ 1448م) حيث جاء إليه السلطان ليستمع دروسه فلما أقبل همّ ابن حجر بالقيام للسلطان فمنعه المؤيد من القيام فلم يقم، وغيرها من الأمثلة التي تؤكد على مكانة العلماء عند السلاطين[1].

- وفود العلماء والأدباء إلى مصر والشام ساعد على تزعمها حركة الإحياء العلمية، هي كثرة من أمها من بني الأقطار الإسلامية الأخرى سواءً أكانوا فارين من وجه الطغيان والظلم، أم كانوا طامعين في كرم مصر وحسن وفادتها، وبين هؤلاء وهؤلاء علماء فضلاء وأدباء أجلاء، أفادت مصر والشام منهم الخير الكثير والنفع الجم بما نشروا وألفوا وبما علموا من ناشئين[2].

- شعور العلماء بواجبهم في نشر الدين وتجديد العلم ولاسيما بعدما أصاب العالم الإسلامي نكبات وكوارث تمثلت باحتلال المغول لبغداد والغزوات الصليبية التي باتت تهدد العالم الإسلامي وما استشرى عن ذلك من خطر

(1) سليم، عصر، ج3/ ص 21-27؛ فليح، التعليم، ج10/ ص 389.
(2) سليم، عصر، ج 3/ ص 18.

الوثنية والنصرانية، عندها شعر العلماء بهذه المسؤولية، ورهبتها فامتلأت قلوبهم حماسة وفاضت نفوسهم تحفزًا إلى القيام بالواجب الذي هيأته لهم الأقدار والاضطلاع بالمسؤولية التي اختارتهم العناية لأدائها فقاموا بذلك قيامًا مشكورًا وسعوا إليه سعيًّا محمودًا[1].

- عناية السلاطين باللغة العربية لأنها لغة الإسلام والقرآن من ناحية ولعجز لغتهم التركية أو الجركسية عن أداء ما يتطلبه هذا الملك الواسع من ضبط وأمن وربط ونشر تعليمات وبعث مراسلات وكتابة تقاليد وقضاء وتشريع من ناحية أخرى، ولأن السكان الذين يحكمونهم سواءً في الشام أو في مصر كانوا يتكلمون العربية[2].

- إنشاء دور التعليم الذي يعد سببًا أساسيًّا وحيويًّا في تنشيط الحركة العلمية لما ضمته من مدرسين وطلاب ولما يقرر فيها من دروس وهي البيئات الطبيعية التي ينمو فيها العلم ويزدهر وتتمثل دور العلم في هذا العصر بالمدارس والجوامع وما شيد من خوانق وأربطة وزوايا كما سيمر ذكره لاحقًا[3].

(1) سليم، عصر، ج 3/ ص 26.
(2) سليم، عصر، ج3/ ص 27.
(3) سليم، عصر، ج3/ ص 27.

وبهذا نجد أن عصر المماليك لم يكن عصر خمول، وإنما كان عصر علم وفن وأدب، عصر نتاج العلماء والفقهاء والقادة، عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية ازدهارًا فأصبحت البلاد محورًا للنشاط العلمي، خاصة بعد أن أصابت بلاد الشام أضرار على يد المغول.

مقـدمة

لم يأخذ هذا النوع من الدراسات أهمية في مجال الكتابة التاريخية، إذ يبرز لنا جانب مهم من الجوانب المنهجية التي سلكها مؤرخونا الكبار؛ لما لها من مشاركة في مجال التراث الفكري الحضاري العربي الإسلامي، أضف إلى ذلك قلة الدراسات التي تناولت دراسة النقد التاريخي عند ابن حجر، وتوظيف هذه الدراسات والاستفادة منها في منهجية الكتابة التاريخية.

ولم ينل النقد التاريخي حظّه كثيرًا في الدراسات المنهجية التاريخية؛ إذ لم يتم البحث عنه بصورة ناضجة، ولا نبالغ إذا قلنا: إنه من دون مثل هذه الدراسات، لا نستطع أن نقدم صورة واضحة وصحيحة للمنهج التاريخي، في مجال نقد الروايات التاريخية وتحليلها، فضلًا عن إظهار المستوى الفكري التطوري للنقد التاريخي عند ابن حجر في العصور الوسطى.

واهتم ابن حجر بانتقاء مادته التاريخية ونقدها، فقد جمع بين منهجيين: منهج علماء الحديث، ومنهج المؤرخين في النقد، فقد امتزج النقد التاريخي مع الجرح والتعديل، فنلاحظ أن ألفاظهُ النقدية تعبّر عن محدث، وفقيه، ومؤرخ، فاستعمل في نقده، ألفاظًا لها علاقة بعلم الرجال، منها: (انتهت إليه الرياسة) (قبيح السيرة) و(تولع بالأدب واشتهر)، (وفاق أقرانه في العربية) (ولم يكن ماهرًا في العربية).

اعتمد الباحث على منهج معينة في هذه الدراسة، وهو المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع الأفكار التي عرضها ابن حجر في مؤلفاته التاريخية كتابه، وقراءتها للتوصل إلى عرض الفكر النقدي عند ابن حجر.

لذا تبرز أهمية هذه الدراسة في عرض المنهج النقدي الذي سار عليه ابن حجر من خلال التركيز على النقد الإيجابي والسلبي، ونلاحظ من ذلك أن ابن حجر كان يعد هذا العمل مهمًّا، بل وضرورة تاريخية على اعتبار أنه من قَبيل الجرح والتعديل، وهو لصيق الصلة بوصفه رجل دين، ويبرز لنا هذا المنهج من خلال تراجم كتابه التي ضمت في ثناياها نصوصًا تتعلق بهذا الموضوع وتحليل هذه النصوص في ضوء منهجه، واعتنى ابن حجر بالنقد التاريخي حيث يظهر لنا جليًّا عبر ممارسته له سواء إن كان ذلك اتفاقًا أو اختلافًا، ويبدو منهجه في النقد التاريخي في كتب التراجم، سواء كان ذلك في (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، (إنباء الغمر وأنباء العمر) أو في غيره من المؤلفات التاريخية الأخرى، على اعتبار أنه جزء رئيس مهم من منهجه في الكتابة التاريخية، منطلقا من مفهومه للتاريخ[1].

ولابد لنا من دراسة البيئة التي نشأ وترعرع فيها ابن حجر، حيث تتجلى أهمية دراسة الأوضاع السياسية والفكرية التي أسهمت في بروزه.

أما فيما يخص فصول هذا الكتاب فإن طبيعته قد فرضت

(1) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص462؛ عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص408.

تقسيمه إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ضمت أهم النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة، ثم أتبعتها بملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع.

تناول الفصل الأول المكانة العلمية لابن حجر العسقلاني، من حيث: سيرته، وثقافته، ومؤلفاته، ومنهجه في النقد التاريخي.

وفي الفصل الثاني بحثتُّ نقد الجانب السياسي، وقد قسم إلى محورين المحور الأول: نقد أصحاب القرار السياسي، إذ تناول نقد الملوك والسلاطين من الناحية السياسية وما يترتب عليها من تأثيرات على سياساتهم تجاه الرعية، وكذلك وصف حالات اجتماعية لها علاقة بالجانب السلوكي الفردي وهذا له آثار سلبية على هيبة وشخصية المترجم له وهو بمنصب السلطان، وكذلك وجه النقد إلى الولاة وتأتي أهميته من حيث نقد أحوال الأمراء وتصرفاتهم وانعكاسات أفعالهم على الرعية أو تأثيراتهم في أحداث العصر مما صاحبهم أو أتى بعدهم.

فضلًا عن نقد أمراء الوظائف المرتبطة بالرتب العسكرية، وتشمل أمراء العشرة وأمراء المئة وغيرهم من أكابر أرباب الوظائف والنواب الخارجون عن حضرة السلطان، وكذلك شمل الوظائف التي تكون بخدمة السلطان.

وتطرقت في المحور الثاني إلى نقد القضاة وما يجب أن يمتاز به

القاضي من الورع والعفة ومعرفته بالأمور الشرعية، والتي تعد من أهم مقومات القاضي، ومن القضاة من يتصف بسيرة وسلوكيات غير صحيحة ولكن مثل هؤلاء القضاة لم يستمروا بهذا المنصب كثيرًا.

أما الفصل الثالث فقد تطرقتُ فيه إلى نقد الجانب الإداري بحثتُ نقد ابن حجر للطبقة الإدارية، فاهتم في نقد كاتب الإنشاء، ونظرًا لأهمية وخطورة هذا الديوان فقد كان متوليه يختار من بين أرفع الناس طبقة ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد، فضلًا عن معرفته بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وأن يكون عارفًا بسير الخلفاء والملوك ملمًّا بتواريخ الأمم، وكذلك تناول نقد المحتسبين، حيث يظهر أن سير الحسبة في بداية العصر المملوكي كان سيرًا حسنًا.

أما الفصل الرابع فقد سلط الضوء على نقد نقد الجانب العلمي، فقد شمل عدة محاور: أولًا: نقد رجال الدين، سواء ما يخص السلوك الديني والاجتماعي، فضلًا عن الجانب العلمي، أما المحور الثاني: فقد تناول نقد المؤرخين، أما المحور الثالث: فقد تطرق إلى نقد ابن حجر للأدباء واللغويين، من حيث معرفتهم بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته.

أما الفصل الخامس فقد سلط الضوء على نقد الجانب الاجتماعي، بحثتُ نقد فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك وأصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة، وكذلك تناولت فيه نقد أصحاب المهن والصناعات، والتي يعد أفرادها من فئات المجتمع الأخرى الذين امتازوا بإتقانهم عدة صناعات كان لها تأثيرها في المجتمع المصري، ودرس المبحث الرابع نقد الأقارب والأصدقاء عند مؤرخي مصر.

تحليل المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على مصادر ومراجع ودراسات متعددة ومتنوعة أسهمت في رسم الصورة التي تم الإشارة إليها في المتن، وقد تفاوتت هذه المصادر والمراجع في معلوماتها والتي أفادت البحث، ولاسيما أن الدراسة تبحث معارف متعددة في طبيعتها.

كتب التراجم:

اعتمدت الدراسة بالدرجة الأولى على كتب التراجم المصريين، وهي الكتب التي تضمنت تراجم السلاطين والأمراء والنواب والقضاة، والمثقفين بما فيهم الفقيه والمحدث، والمؤرخ، والأديب، والشاعر، وكذلك الإداريين بمن فيهم الوزراء والكُتّاب.

وفي مقدمة هذه الكتب كتاب (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت 845هـ/ 1441م)، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم من عاصرهم المؤلف، فكتب عنهم وعن أخبارهم دون أن ينقل من كتب أخرى وقد تناول الكتاب فترة مهمة من فترات تاريخ مصر فهو يذكر من كان حيًّا سنة 760هـ، حتى توقف عن الكتابة قبل وفاته بقليل، ونلاحظ أن المؤلف قد خص هذا الكتاب بتراجم الأعيان، ولهذا لا يجد المتتبع تراجم للحرفيين أو أصحاب الصناعات، وأن المقريزي قد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على اتصالاته وملاحظاته الشخصية عن المجتمع، ولاسيما رجال السلطة الحاكمة ورجال القضاء، ورجال الدين، وكذلك ترجم لبعض مشاهير التجار.

وكان لمصنفات ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد المتوفى سنة (852هـ/ 1448م) الجانب المهم في رفد فصول الدراسة بالمعلومات القيمة والخاصة بتراجم الرجال ومنها كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)، الذي يعد من المصادر التي قدمت مادة تاريخية عن الأمراء والسلاطين، وتكمن أهمية هذا الكتاب بما امتاز به من الدقة والشمولية والتفصيل، ويعد هذا المصدر من المصادر الأولية المهمة لقرب مؤلفها زمانًا ومكانًا من أصحاب التراجم.

كما أفدنا من كتاب (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي) لجمال الدين يوسف بن تغري بردي(ت 874هـ/ 1469م)، الذي امتاز بالدقة والسعة والشمول، كونه من أبناء السلطة، إذ كان أبوه أتابكًا للديار المصرية فكان يدخل البلاط متى أراد ذلك، ويطلع على الأحداث السياسية والإدارية، أو يستمع لإخبارها في البلاط، وبهذا احتوى كتابه على معلومات قيمة أغنت معظم فصول الدراسة فقد استفدت منه في ذكر الطبقة الحاكمة، والإداريين، وكذلك نجده ينتقد الطبقة الحاكمة نقدا لاذعًا، لاسيما الأحداث التي عاصرها والشخصيات الذين خبرها عن قرب وكتب عنهم بشكل دقيق.

وقد صنف الحافظ شمس الدين السخاوي (ت902هـ/ 1496م)، كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، على غرار كتاب الدرر الكامنة لابن حجر، وقد احتوى تراجم رجال من عاصرهم أو كان قريبًا منهم من أعيان مصر من العلماء والقضاة والرواة، ويعد هذا الكتاب من الكتب النقدية المميزة، إذ لا نجد مصدرًا آخر في التراجم يجاريه في قوة النقد ووضوح العبارات النقدية وجرءتها وكثرتها، ولم يسلم من نقده حتى كبار الشخصيات من معاصريه سواء أكانوا من العلماء أم من الطبقة الحاكمة.

أما كتاب (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن المتوفى سنة (911هـ/

1505م) فهو كتاب شامل اعتمد على أغلب الكتب التي سبقته في هذا الفن، فضلًا عن اعتماده على الكثير من الكتب الأدبية، والتاريخية، وكتب التراجم، ومشاهداته، وذكره لعلماء عصره، وشيوخه، وأورد فيه النحويين واللغويين وأخبارهم وفوائدهم ومناظراتهم وأشعارهم ومروياتهم، فالكتاب إذًا خلاصة لكتاب واسع جدًّا في موضوعه، وهذا ما يفسر لنا اختصار التراجم فيه واقتصارها في أغلب الأحيان على ذكر اسم العالم، وتاريخ وفاته، وأسماء أساتذته وتلاميذته، وعناوين مصنفاته، وقد يورد أحيانًا نتفًا من أخبار من يترجم لهم وآرائهم المشهورة، وكان قد رتبه على حروف المعجم، وكانت الفائدة منه تكمن في ترجمته للكثير من اللغويين والنحويين ذاكرًا مصنفاتهم وألقابهم وولادتهم ووفاتهم، ثم نقد بعض المترجم لهم من حيث مهارتهم ومكانتهم اللغوية والأدبية.

كتب التأريخ الحولي:

ومن الكتب المساعدة في هذه الدراسة كتب التأريخ الحولي إذ احتوت معلومات وافية نسبيًّا عن الأحوال السياسية، وفي مقدمتها، كتاب (عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان) لبدر الدين محمود المعروف بالعيني (ت 855 هـ/ 1451م)، فهو من كتب التأريخ التي تنهج منهج الحوليات، وتعود أهمية لما ضمه من معلومات

وفيرة عن دولة المماليك، ولاسيما أن المؤلف كان معاصرًا لتلك الدولة ومقربًا من سلاطينها، فكان قد شغل مناصب إدارية مهمة منها الحسبة، والقضاء ونظر الأحباس، ثم أخذ يتقرب من سلاطين المماليك، والذي جعله ضمن حاشيتهم إتقانه للغة التركية، ومعرفته في بعض العلوم منها، النحو، واللغة، والصرف، فقد زودنا كتابه بمادة غنية عن الجوانب الإدارية ومن تولى هذه المناصب.

أما كتاب (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1471م) فهو وإن كان في التأريخ الحولي إلا أنه من المصادر المملوكية المهمة التي تغطي أخبار مصر منذ الفتح الإسلامي حتى عصر المؤلف، إذ قدم لنا معلومات مهمة عن حوادث مصر والقاهرة وإدارتها تحت حكم سلاطين المماليك البحرية، وقد أفادنا في حالات التأكيد أو النفي لبعض الروايات التاريخية والآراء النقدية، وامتاز هذا الكتاب بكثافة المادة التاريخية الواردة فيه عن عصر المماليك الذي عاصره المؤلف وكان شاهد عيان على الكثير من أحداثه وشخصياته.

كتب التأريخ الإداري:

اهتمت كتب الإدارة بتقديم الشرح للكثير من المصطلحات، ومنها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية المستخدمة في الدول والإمارات الإسلامية في مصر والشام، وجاء التأكيد على ذلك عند

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ/ 1418م) في مؤلفه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) والذي يأتي في طليعة هذا النوع من الكتب، فقد تحدث عن الدواوين والنظم السياسية والإدارية في العهد المملوكي، فضلًا عمَّا فيه من معلومات مهمة عن ديوان الإنشاء، وما يتضمنه الكتاب من معلومات وإيضاحات مهمة في الأُسس التي يقوم عليها نشاط الدواوين.

الفصل

الأول

1

المكانة العلمية

لابـن حجـــر

أولاً: سيرته

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد، المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني الشافعي[1]، ولد ابن حجر في الثاني عشر من شعبان سنة 773هـ/ 1371م بمصر[2]، ونشأ بعد أن مات والده وهو طفل في شهر رجب سنة 777هـ/ 1375م، في كنف أحد أوصياء والده الزكي الخروبي، كما يقول عنه: "وقد حجّ غير مرة وجاور، وكنت رفيقه في المجاورة وأنا

(1) الأسنوي، طبقات الشافعية، ص108؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر،ج3/ ص1؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ص76؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1/ ص88؛ عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص197.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة،ج2/ ص450؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص21؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص36.

صغير؛ لأن أباه كان قد أوصاه عليَّ، فرجعت معه في أول سنة سبعمائة وست وثمانين"[1]، فأدخله الكتاب[2]، بعد إكمال خمس سنين[3]، وكانت لديه قدرة على حفظ القران الكريم والحديث النبوي الشريف[4]، وهذا له أثره فيما وصل إليه ابن حجر من علو شأنه ورفعة ذات قيمة علمية عالية بين أقرانه.

(1) أبو بكر علي بن محمد بن علي التاجر الكارمي، زكي الدين الخروبي، كان أصله من رحبة الخروب بمصر، سمع منه ابن حجر، توفي أوائل المحرم سنة 787هـ. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص538-539.

(2) المكان الذي يتم فيه تعليم الصبيان الخط. ينظر: السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ص252.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج6/ ص267.

(4) المصدر نفسه، ج6/ ص267.

ثانيًا: ثقافته

يعد ابن حجر من أبرز أعلام القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقد أهله هذا الأمر لما كان يتمتع به من سعة الاطلاع على مختلف العلوم والمعارف الإسلامية آنذاك، واجتمع لابن حجر من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، فكان لكل واحد منهم اتجاه علمي أثّر في بناء شخصيته العلمية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: البرهان التنوخي (ت800هـ/ 1397م)، أخذ عنه القراءات[1]، والزين العراقي (ت806هـ/ 1404م) أخذ عنه علوم الحديث[2]، والمجد الشيرازي (ت817هـ/ 1414م) في اللغة[3]، والعز بن جماعة

(1) إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي، ولد بدمشق سنة 709هـ، ينظر: ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن أحمد، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره برجستراسر، القاهرة (بولاق) ج1/ ص52؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ج2/ 22-23.

(2) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، ولد في سنة 725هـ، بمنشأ المهراني بين القاهرة ومصر. ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ) السلوك، ج3/ ص821؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج4/ ص171-178.

(3) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروزأبادي، ولد بمدينة كازرون سنة 729هـ، لقيه ابن حجر في رحلته إلى اليمن وأخذ عنه. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1/ 273-275.

(ت819هـ/ 1416م) الذي أخذ عنه علوم مختلفة[1]، وغيرهم من العلماء[2].

ثالثًا: مؤلفاته

حصل ابن حجر على شهرة واسعة، إذ يعد واحدًا من المؤلفين والمصنفين الذين عرفوا بغزارة النتاج العلمي، وبلغت مصنفاته في الحديث والتفسير والفقه، نحو مائة وخمسين مصنفًا، وكان من أشهرها كتاب "فتح الباري بشرح البخاري"[3]، ووضع كُتبًا عديدة في الحديث والفقه وعلوم والقرآن، ومن ذلك كتاب "الاتقان في فضائل القرآن" و"لسان الميزان"[4] و"بلوغ المرام بأدلة الأحكام" و"تهذيب التهذيب"[5]، و"شفاء الغلل في بيان العلل"

(1) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، ولد في ينبع سنة 749هـ، لازمه ابن حجر من سنة 790هـ إلى أن مات، وحصل على الإجازات له ولأولاده. ينظر: المقريزي، السلوك، ج14/ ص143-144.

(2) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص18-19؛ السيوطي، نظم العقيان، ص45.

(3) السيوطي، المصدر نفسه، ص46.

(4) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص24؛ السيوطي، المصدر نفسه، ص47.

(5) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص24. السيوطي، المصدر نفسه، ص47.

و"الآيات النيرات في معرفة الخوارق والمعجزات"، و"الخصال المكفرة للذنوب" و"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"[1]، و"رفع الإصر عن قضاة مصر" و"الإصابة في تمييز الصحابة"[2]. وغيرها مما يضيق المقام بذكرها.

رابعًا: منهجه في النقد التاريخي

لم يكن ابن حجرًا جامعًا للأخبار فقط، وإنما اهتم بانتقاء المادة التاريخية وبنقدها، وقد جمع بين منهج علماء الحديث ومنهج المؤرخين في النقد.

إن من يرقب مؤلفاته يرى إنها قد احتوت من المعلومات والأحداث الشيء الكثير، لكنها انطوت أحيانًا على التناقض والازدواجية في الطرح، أو المجازفة بحيث يصعب أن تطمئن لما روته ودونته من غير بحث وتدقيق، وبهذا نجد أن منهجة يتمثل في ذكر كل ما يقال بغض النظر عن مدى موافقته لواقع الحال باعتباره أمانة علمية؛ لكن ذلك أسهم في هذه الإشكالية.

ويظهر الجانب النقدي لديه عندما يعلن عن تفضيله لبعض الروايات على غيرها، وفي ترجيحه الروايات التي يراها جديرة بالترجيح، وفي رفضه لبعض هذه الروايات، والتي كانت تحمل في طياتها السرد الخرافي الأسطوري الذي لم يقبله العقل ولا المنطق،

(1) ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج2/ ص25.

(2) السيوطي، نظم العقيان، ص47.

وكان إعلانه عن رأيه في الروايات مقتضبًا، وفي بعض المواقف يتخذ من الروايات موقفًا حياديًّا، فيتجنب نقدها، تاركًا للقارئ مهمة الاختيار لما يراه، إضافة إلى ذلك نجده ينتقد ما جاء من أخطاء في الأسماء وتواريخ المواليد والوفيات، الأمر الذي يدل على رجاحة عقليته وعلو ملكة النقد التاريخي عنده.

اقتصر منهج ابن حجر على ذكر أعدل ما قيل في وصف المترجم له، فضلًا عن سلوكه منهج التوافق بين الروايات التي تتعارض في بَيان حال المترجم له، لهذا يُعد مَنهجهُ منهج الشخص الناقد الصَريح في إصَدار حكمه بخصوص صاحب الترجمة، فبعد ذكر الترجمة، يذكر المصدر الذي أخذ منه المعلومة جاعلًا العهدة على ذلك المصدر، أضف إلى ذلك اعتماده وتركيزه على المصادر الأساسية، والأخذ منها مباشرة، والإشارة إليها، وكذلك تميزِهِ عن كثير من الباحثين والناقدين في نقل آراء المؤيدين والمعارضين في المترجم له[1].

فكان موارده في نقل الروايات التاريخية من المصادر التي يكون صاحبها من الثقات، فإن كان غير ذلك فإنه يذكر الرواية قرينة بمصدرها جاعلًا العهدة فيه على المصدر، نحو قوله في ترجمة أبي يزيد الردماوي الزبيدي: "نقلت ترجمته من خط الشيخ تقي الدين المقريزي والعهدة فيه عليه"[2]، ومما أورده في ترجمة بابن الوزان

(1) عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي، ص415-418.

(2) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص378.

الأشموني[1]: "نقلت ترجمته من خط أحمد بن يحيى بن عساكر من معجم شيوخه"[2]، وقوله بخصوص انقلاب عابث بإمام جماعة وهو يصلي إلى خنزير، ضمن حوادث سنة (782هـ/ 1380م): "قرأت بخط ابن دقماق... وأنه ممن شاهد ذلك"[3].

كما يتضح عدم اقتناع ابن حجر ببعض الروايات، فينسبها إلى أصحابها من مصادره، كقوله: "قاله ابن حبان في الثقات"[4]، "قاله بن الكلبي"[5]، "كذا قاله ابن المنادي في الوفيات"[6]. ومن هذا النقد نجده في ترجمة إسحاق بن سليمان بن أبي سليمان الشيباني، فعند ذكره للرواة فيحيل ذلك على المصدر بقوله: "روى عن أبيه

(1) أحمد بن أبي العز بن أبي المكارم بن سليمان الأشموني المعروف بابن الوزان الملقب شرف الدين. كان أبوه يباشر في الديوان، وكذلك أخواه وكانت لهم وجاهة فتركها شرف الدين المذكور وسكن القاهرة، وانقطع الكاملية وكان نظيف الثوب حسن السمت قليل الكلام وسمع من القطب القسطلاني ولازمه مدة وسمع أيضًا من ابن فارس والعز الحراني وابن خطيب المزة ثم انتقل إلى بلده الأشمونين، وانعزل عن مخالطة الناس مع ملازمة الصلاة في الجماعة في أول الوقت وحدث في سنة 701هـ، وبعدها واستمر على حالته إلى أن مات وقد جاوز السبعين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص66.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص66.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص76.

(4) تهذيب التهذيب، ج1/ ص155.

(5) تهذيب التهذيب، ج2/ ص139.

(6) الدرر الكامنة، ج2/ ص253.

روى عنه أبو أسامة وعقبة بن المغيرة قاله البخاري وتبعه ابن أبي حاتم وذكره ابن حبان في الثقات وزاد في الرواة عنه المسعودي"[1]. وفي ترجمة حبة بن خالد أخو سواء الأسدي، يورد خبر أن لهما حديثًا عن النبي محمد ﷺ في عدم اليأس من الرزق رواه الأعمش عن سلام أبي شراحيل، فيعلق على ذلك قائلًا: "قلت لم يروه عنهما غيره فيما قاله الأزدي"[2]. وغيرها من المواضع.

أو يستخدم عبارة "زعم"، كقوله: "زعم ابن حبان"[3]، "زعم بن أبي حاتم"[4]، "زعم خليفة بن خياط"[5]. ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في ترجمة ضميرة الضمري ويقال السلمي، فيضعف تلك الرواية عن ابن حبان قائلًا : "قلت زعم ابن حبان أنه جد حسين بن عبد الله بن ضميرة وليس كذلك بل هو غيره"[6]. وأيضًا في ترجمة عبد الله بن مسلم الطويل صاحب المصاحف، فيصحح ما جاء عند ابن أبي حاتم قائلًا: "زعم بن أبي حاتم أن قول البخاري فيه صاحب المقصورة خطأ وإنما هو صاحب المصاحف"[7].

(1) الدرر الكامنة، ج1/ ص235.

(2) تهذيب التهذيب، ج2/ ص177.

(3) تهذيب التهذيب، ج1/ ص406

(4) تهذيب التهذيب، ج6/ ص30.

(5) تهذيب التهذيب، ج7/ ص237.

(6) تهذيب التهذيب، ج4/ ص464.

(7) تهذيب التهذيب، ج6/ ص30.

ونجد منهجه في استقصاء المعلومة، فلم يكتف بذكر مصدر تلك المعلومة، وإنما يشكك بها، ويعطي إشارة للباحث والقارئ بأنه لم يتأكد من صحتها، وهذه هي الأمانة العلمية، وهذا ما نجده في ترجمة بكار بن يحيى، الذي روى عن جدته عن أم سلمة وعنه عبد الرحمن بن مهدي، فيورد ما ذكره ابن حبان في الثقات إنه روى عن سعيد بن المسيب وعنه الفضل بن سليمان النميري، وينهي تلك الرواية بقوله: "فلا أدري هو ذا أو غيره"[1].

ونجده كذلك ينقد ويصحح ما جاء بتراجم مصادره، وهذا ما نجده في ترجمة حكيم بن قيس بن عاصم المنقري التميمي، فنجده يصحح ما أورده ابن حبان قائلًا: "وقال روى عنه مطرف وقتادة وهو خطأ من بن حبان وإنما روى قتادة عن مطرف عنه وذكره بن مندة في الصحابة وكذا أبو نعيم"[2].

كما قام ابن حجر بتصويب أخطاء مصادره أثناء النقل، كما في ترجمة الحسن بن عطية بن نجيح القرشي(ت 211هـ) "وضعفه الأزدي فأظنه اشتبه عليه بالذي قبله"[3]. وفي ترجمة العلاء بن خالد القرشي : "قال بن شاهين في الثقات قال يحيى ليس به بأس كأنه اشتبه على بن شاهين بالذي قبله"[4].

(1) تهذيب التهذيب، ج1/ ص479.
(2) تهذيب التهذيب، ج2/ ص451.
(3) تهذيب التهذيب، ج2/ ص294.
(4) تهذيب التهذيب، ج8/ ص180.

أما إذا كان المصدر الذي نُقل منه محايدًا للمترجم له لا ينقل عنه، فإن اضَطَر في الاعتماد عَليهِ، يَكشف ذلك المصدر لِكي تَكون العُهدة على ذلك المصدر، ومن أمثلة ذلك ما فعله مع بدر الدين العيني في ترجمة يشبك بن ازدمر (ت 817هـ/ 1414م)[1] قوله: "كان مشهورًا بالشجاعة والفروسية، وقال العينتابي: كان ظالمًا لم يشتهر عنه خير، كذا قال، وقد باشر نظر الشيخونية، ورأيت أهلها يبتهلون بالدعاء له والشكر منه"[2]، وقولهِ في ترجمة دمرداش المحمدي الظاهري (ت 818هـ/ 1415م)[3] "كان دمرداش مهيبًا

(1) يشبك بن إزدمر الظاهري برقوق، ولد ببلاد جركس وقدم مع أبيه فاشتراهما الظاهر في أول أمره وقدم والده ثم عمل ابنه خاصكيًّا إلى أن أظهر في وقعة تمر من الشجاعة والإقدام ما اشتهر وحمل بعد قتل أبيه في المعركة إلى تمر وبه نيف عن ثلاثين جرحًا ما بين ضربة سيف وطعنة رمح فأعجبه وأمر بمداواته والتلطف به حتى تعافى فاحتال حتى فر وعاد إلى الناصر فعمله أمير عشرة وما زال حتى قدمه وعمله رأس نوبة النوب ثم ولي نيابة حماة ثم حلب في أيام نوروز الحافظي لأنه كان من حزبه إلى أن ظفر بهما المؤيد فقتلهما مع غيرهما. ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج5/ ص157.
(2) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص419.
(3) دمرداش المحمدي الظاهري، كان من قدماء مماليك الظاهر، ولما جرت فتنة منطاش كان خاصكيًّا، وكان معه في الوقعة ففر مع من انهزم إلى حلب، فلما استقرت قدم الظاهر في السلطنة حضر فولاه نيابة طرابلس، ثم نقله إلى الأتابكية بحلب فأقام مدة، ثم ولاه نيابة حماة، ثم مات الظاهر وهو نائبها فحاصره تنم لما أراد أن يتسلطن فأطاعه ووصل صحبته إلى =

عاقلًا مشاركًا في عدة مسائل كثير الإكرام لأهل العلم والعناية بهم، اجتمعت به فوجدته يستحضر كثيرًا من كلام الغزالي وغيره، قال القاضي علاء الدين الحلبي في تاريخه: كان لا يواجه أحدًا بما يكره، وقد بنى جامعًا بحلب ووقف عليه أوقافا كثيرة، وله زاوية بظاهر طرابلس لها أوقاف كثيرة، وهذا بخلاف قول العينتابي: ليس له معروف"[1].

يبدي ابن حجر تعجبه من مصادره باستخدام بعض العبارات، كقوله: "فما أدري هو هذا أو غيره"[2]، أو قوله: "وهذا وهم وتصحيف"[3]، أو قوله: "أخشى أن يكون تصحف"[4]، ففي ترجمة أبو سعيد الأنصاري، ينتقد ابن حجر ابن أبي حاتم الذي سأل أبيه عن صاحب الترجمة فقال: "سألت عنه أبي فقال ما أرى بحديثه بأسا"[5]. فيصحح ابن حجر هذه الرواية مع الأخذ برأي المزي

= غزة ففر إلى الناصر، فولاه نيابة حلب، ثم عمله المؤيد أتابك الديار المصرية، ثم ولي بعده حلب أيضًا وآل أمره إلى أن طلبه ابن أخيه قرقماس، وقتل بإسكندرية في المحرم سنة ثمان عشرة. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص431؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص120.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص431.

(2) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج12/ ص108.

(3) المصدر نفسه، ج1/ ص470.

(4) المصدر نفسه، ج1/ ص421؛ ج3/ ص32.

(5) المصدر نفسه، ج12/ ص108.

قائلًا: "قال المزي فما أدري هو هذا أو غيره"[1]، ومن ثم يعطي رأيه بصورة قطعية قائلًا: "هو غيره جزمًا"[2].

بعد البحث في المصادر وجدنا أن ما جاء به ابن حجر هو الرأي الصائب وأن المقصود من كلام ابن أبي حاتم ليس أبو سعيد، وإنما هو عمر بن حفص ابن عمر بن ثابت أبو سعد الأَنصاري، وقد ذكرته أغلب المصادر[3].

وهذا ما نجده في ترجمة سليمان بن عطاء بن قيس القرشي، فينتقد ابن حجر ما ذكره البخاري وابن حبان، حيث أوردا رواية مفادها ما نصه: "سليمان بن عطاء يروي عن عبد الله بن الزبير وعنه صفوان بن سليم فيحتمل أن يكون هو ويحتمل أن يكون غيره"[4]. وبعد أن ينتقد يصحح تلك الرواية بقوله: "قلت هذا غيره قطعًا وصاحب الترجمة قد ذكره ابن حبان في الضعفاء فقال شيخ يروي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات قلت لا أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة وذكره البخاري في فصل من مات من التسعين إلى

(1) المصدر نفسه، ج12/ ص108.

(2) المصدر نفسه، ج12/ ص108.

(3) البخاري، التاريخ الكبير، ج6/ ص149؛ البغوي، معجم الصحابة، ج4/ ص172؛ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج6/ ص102؛ المزي، تهذيب الكمال، ج33/ ص352.

(4) تهذيب التهذيب، ج4/ ص211.

المائتين وقال أبو حاتم منكر الحديث يكتب حديثه"[1]. ونلحظ من النص السابق أن ابن حجر قد أشار إلى قضية مهمة وخطيرة وهي أن ابن حبان ذكر صاحب الترجمة وأعده من الثقات في كتاب الثقات، ومن الضعفاء في كتاب الضعفاء، فضلًا على إبداء تعجبه من ذلك.

وكذلك نلحظ أنه استخدم عدة ألفاظ منها(قيل) أو(يقال) تعبيرًا عن تشكيكه في الرواية غير الصحيحة، ومن ثم يعقبها بذكر الرواية الأصح والمعتمدة، وعبروا عنها بقول(وهو المعتمد)[2]، فضلًا عن ذكر السبب من وراء تلك الرواية الضعيفة، وهذا نجده في ترجمته للشيخ نجم الدين أحمد ابن الرفعة(ت 710هـ/ 1310م)[3] إذ قال: "يقال إنه كثير النقل غير قوي

(1) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج4/ ص211.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص10، ص138، ص306، ص357، ج2/ ص186؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج1/ ص243،ج2/ ص203، ج3/ ص350، ص463، ج4/ ص90، ص247، ص412، ج5/ ص262.

(3) أحمد بن محمد علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة، ولد سنة 645هـ/ 1248م وأخذ الفقه عن الضياء جعفر بن الشيخ عبد الرحيم القنائي والسديد الأرمنتي وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم، واشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل، وله تصانيف مثل النفائس في هدم الكنائس وحكم المكيال والميزان وولي حسبة مصر مدة وناب في الحكم مدة ثم عزل نفسه. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص284.

البحث"[1]. وبعدها صرح بالسبب من وراء هذه الرواية غير الصحيحة، وأنه من كان ينسبه إلى ذلك من يحسده كالسراج الأرمنتي[2] والوجيه البهنسي[3][4]، ومن ثم يؤكد رأيه قائلًا: "فإنني حضرت درسه فسمعت مباحثه الفائقة وقد شرح التنبيه وسماه الكفاية فأجاد فيه وشرح بعده الوسيط شرحًا حافلًا مشتملًا على نقول كثيرة وتخريجات واعتراضات تشهد بغزارة مواده وسعة علمه وقوة فهمه"[5].

ونفهم من هذا أن ابن حجر لم يُطلق حكمه النقدي جزافًا، بل كان على علم ودراية مباشرة بالشخص المنتقد، فيُصدر حكمه بناءً

(1) المصدر نفسه، ج1/ ص284-285.

(2) يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهذلي القاضي سراج الدين الأرمنتي ولد بأرمنت سنة 644هـ/ 1247م، وسمع من الرشيد العطار وعمر بن يونس العامري والمجد ابن دقيق العيد وأجازه، وتفقه على الظهير الأرمنتي، وحدث وأفتى، وكانت وفاته سنة 725هـ/ 1324م. السبكي، طبقات الشافعية، ج10/ ص217.

(3) عبد الوهاب بن الحسن قاضي القضاة وجيه الدين البهنسي المصري ولي قضاء مصر والقاهرة بعد موت القاضي تقي الدين ابن رزين في رجب سنة ثمانين ثم أخذ منه قضاء القاهرة والوجه البحري، واستمر الوجيه حاكمًا بمصر والوجه القبلي إلى أن توفى 685هـ/ 1286م. ينظر: ابن قاضي شهبة، تاريخ بن قاضي شهبة، ج1/ ص106.

(4) الدرر الكامنة، ج1/ ص284-285.

(5) الدرر الكامنة،ج1/ ص284-285.

عـلى معرفتـه الشخـصية واطّلاعـه عـلى مكانتـه العلميـة مـن دون التعويل على آخرين.

وكذلك نلحظ أن ابن حجر لم يتقبل كل ما مَدتهُ مـن نـصوص تاريخية على أنها من قبيل المُسَلمات، التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، وإنما كان يَستخدم عقلهُ في مُناقشتِها.

ومن أمثلة ذلك ما ذُكِر بِخصوص الحـرب المغوليـة مـا نـصه: "يقال إنه كان في عسكره عابد يقال لـه بركـة، فلـما رأى تيمورلنـك الهزيمة تمسك به فصاح على عسكر طقتمش خان فانهزموا، ويحتمل أن يكون هذه من وضع بعض من يتعصب، ويحتمل الصحة ليقضي الأمر المقدور، إنما نملي لها ليزدادوا إثمًا"[1].

وقوله في حوادث سنة (796هـ/ 1394م) بِخُـصوص تَبليـغ إحَـدى البِـشارات للـسُلطان الظـاهر برقـوق الـذي حَكـم المـدة الأولى(784-791هـ/ 1382-1389م) المـدة الثانيـة(792-801هـ/ 1390-1399م)[2]: "خرج إلى السلطان وهـو معـسكر ظاهر القاهرة شخص يقال له أحمد بن عباس الحريـري، فـذكر أنـه

(1) الدرر الكامنة، ج1/ ص5.

(2) برقوق بـن آنـص، الـسلطان الملـك الظـاهر أبـو سـعيد برقـوق العـثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الـديار المـصرية، القـائم بدولـة الجراكـسة، جلبه خواجا عثمان من بلاده، وكان اسمه ألطنبغـا، وقيـل سـودون. فلـما اشتراه الأتابك يلبغا العمري الخاصكي سماه برقوقًا لنتو في عينيـه. ينظـر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج 3/ ص285-286.

رأى النبي ﷺ تسليمًا في المنام وأنه قال لـه: رح إلى برقـوق وقـل لـه إنك منصور بأمارة أنك تقرأ سورة الفاتحـة عـلى أصـابعك العـشرة عشر مرات عند الركوب ثم تقول: "إن ينصركم الله فلا غالب لكم "، فصدق الأمارة وبكى وأمر للرأي بـمال فلـم يقبـل منـه إلا نـذرًا يسيرًا، والذي يظهر لي كذب هـذا الـرأي، وكأنـه بلـغ الإمـارة مـن بعض خواص السلطان المطلعـين عـلى سره، وإلا فلـو كـان صـدقًا لكان قد انتصر، والواقع أنه لم يقع له قتال مع أحد"[1].

ومن الأمور التي تجلب الانتباه عند ابـن حجـر، هـي تـرجيح الروايات ولكن هذا الترجيح غير مؤكد بالنسبة إلى المـؤرخ، كنحـو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن يوسف المـارديني المعـروف بـابن خطيب (ت 771هـ/ 1371م)[2]، "ومات بحماة في سـنة 770هـ وهـو ابـن سـتين وأرّخـه شـهاب الـدين ابـن حجـي[3] سـنة

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص177.

(2) أحمد بن يوسف بن أحمد المارديني المعروف بابن خطيب الموصل. قال ابـن حبيب كان ينظم ويعرف العروض وكـان يـتردد في بـلاد الـشام ويمـدح الأعيان ويكتب الخط الحسن ومات بحماة. ابـن حجـر، الـدرر الكامنـة، ج1/ ص338.

(3) الشيخ الإمام العالم شهاب الدين أحمد بن علاء الـدين حجـي بـن موسـى السعدي، الحساني الأصـل، الدمـشقي الـشافعي بدمـشق، وكـان فقيهًـا بارعًا، أفتى ودرس سنين، وخطب بجامع دمشق، وقدم القاهرة في دولـة الملك الناصر فرج، في الرسلية عن الأمير شيخ، أعني الملك المؤيـد، وكـان معـدودًا مـن فقهـاء دمـشق وأعيانهـا. ينظـر: المقريـزي، الـسلوك، ج3/ ص167؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص53.

771هـ/ 1371م وهو الصواب والأول من غلط النسخة فالله أعلم"[1]. أي من أخطاء النساخ.

فابن حجر لم يكن ناقلًا للنص فقط، وإنما كان ناقدًا، وهو الترجيح لما يراه صحيحًا، كما جاء في ترجمة الحارث بن سعيد، فيرجح الرأي الأول بقوله: "الحارث بن سعيد ويقال بن يزيد العتقي المصري ويقال سعيد بن الحارث والأول أصح"[2]. وفي ترجمة سعد بن عمارة أبو سعيد الزرقي، فيرجح ابن حجر ما جاء به ابن حبان قائلًا: "قال ابن حبان في الصحابة سعد بن عمارة أبو سعيد وقيل عمارة بن سعد والأول أصح وهو الذي يقال له أبو سعيد الخير"[3].

ونجده أيضًا يرجح الرأي الأصح في سنة وفاة المترجم له وهذا نجده في ترجمة محمد بن حسان بن فيروز الشيباني (ت257هـ) : "وذكره بن حبان في الثقات قال محمد بن مخلد وغيره مات في ذي القعدة سنة سبع وخمسين ومائتين وقيل مات سنة ستين ومائتين والأول أصح"[4].

يُبد ابن حجر تشكيكه بالمصادر باستخدام بعض العبارات "فيه نظر"، ونجد هذا في ترجمة إبراهيم بن سالم بن أبي أمية المعروف

(1) الدرر الكامنة، ج1/ ص338.
(2) تهذيب التهذيب، ج2/ ص142.
(3) تهذيب التهذيب، ج12/ ص110.
(4) تهذيب التهذيب، ج9/ ص112.

بردان بن أبي النضر (ت 153هـ) قائلًا: "روى عن أبيه وسعيد بن المسيب وعنه سليمان بن بلال وصفوان بن عيسى والواقدي"[1]، فعلق ابن حجر على ذلك بقوله: "قلت: وفيه نظر فإن في مسند أحمد له رواية عن عامر بن سعد بن أبي وقاص من رواية محمد بن أبي يحيى الأسلمي عن أبي إسحاق بن سالم عن عامر بن سعد وأبو إسحاق بن سالم. هذا هو بردان بن أبي النضر قاله أبو أحمد الحاكم في الكنى، وعامر بن سعد شارك سعيدًا في كثير من شيوخه"[2]. وفي ترجمة سلمان بن عامر بن أوس الضبي، فيرفض الرواية القائلة بوفاته في خلافة عثمان بن عفان، قائلًا: "ذكر أبو إسحاق الصريفيني توفي سلمان في خلافة عثمان وفيه نظر والصواب أنه تأخر إلى خلافة معاوية"[3].

ونجده يشكك حتى في روايته، كقوله في ترجمته لحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي الإمام العالم النحرير المالكي (ت 755هـ/ 1355م)[4]،" ... وذكر أن وفاته يوم عيد الفطر سنة

(1) تهذيب التهذيب، ج1/ ص121.
(2) تهذيب التهذيب، ج1/ ص121.
(3) تهذيب التهذيب، ج4/ ص137.
(4) حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المراكشي الإمام العالم النحرير المالكي، كان إمامًا في العربية شرح ألفية ابن مالك والتسهيل وغيرهما، وأخذ العربية عن أبي عبد الله الطنجي والسراج الدمنهوري وأبي زكريا الغماري وأبي حيان والفقه عن الشرف المغيلي والأصول عن الشيخ شمس الدين ابن اللبان وأتقن العربية والقراءات على المجد إسماعيل الشستري وصنف وتفنن وأجاد . ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص30.

749هـ انتهى وقد رأيت بخطي ولا أدري من أين نقلته وكانت وفاته سنة 755هـ فالله أعلم"[1].

وبِهذا نَجد ابن حجر، كان من المؤرخين المُنصفين في النقد، يَظهَر ذلك من حِرصهِ على نقل آراء الموافِقين والمخالفين في المترجم له، نحو قَولَهُ في ترجمة التقي بن رافع (ت774هـ/ 1373م): "ذكر لي شيخنا العراقي أن السبكي كان يقدمه لمعرفته بالأجزاء وعنايته بالرحلة والطلب، قلت: والإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات دون ابن كثير، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء لمعرفته بالمتون الفقيهة والتفسيرية دون ابن رافع، فيجمع منهما حافظ كامل، وقل من جمعهما بعد أهل العصر الأول كابن خزيمة والطحاوي وابن حبان والبيهقي، وفي المتأخرين شيخنا العراقي"[2].

وَقَولِهِ في ترجمة ابن طولو العثماني المراغي (ت816هـ/ 1414م)[3]: "كان بعض من يتعصب عليه ينسبه إلى

(1) الدرر الكامنة، ج2/ ص30.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص16.

(3) أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبي الفخر بن نجم بن طولو العثماني المراغي نزيل المدينة زين الدين بن حسين الشافعي، ولد سنة (829هـ)، واشتغل بالقاهرة فسمع الحديث من صالح بن مختار وعبد القادر بن الملوك وأحمد بن كشتغدى وأخذ عن الشيخ تقي الدين=

الخرف والتغيير، ولم يمح ذلك فقد سمعت عليه بمكة سنة خمس عشرة وهو صحيح وأخبرني من أثق به أنه استمر على ذلك، عاش دون تسعين سنة إلا يسيرا"[1].

يظهر الجانب النقدي عند ابن حجر في تضعيف أو رفض بعض الروايات وبطريقة غير مباشرة، فيورد بعض المؤرخين عبارات التضعيف، مثل(ويقال...)[2] أو(قد قيل...)[3]، وهي عبارات يُفهَم منها عدم تأكدهم من الخبر؛ فلذا تُذيّل مثلُ هذه الأخبار بقولهم في النهاية: (والله أعلم)، ولم يتقبل ابن حجر بعض الروايات التاريخية على أنها من قبيل المسلمات التي لا يمكن ردها أو مناقشتها، بل كان يستخدم عقله في مناقشتها.

= السبكي والشيخ جمال الدين الإسنوي، ثم دخل المدينة فاستوطنها، وأجاز له أبو العباس الحجار وأحمد ابن مزير والبرزالي والمزي وآخرون، خرجت له عنهم أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا، وخرج له الحافظ جمال الدين بن موسى مشيخة عن شيوخه بالسماع والإجازة وحدث بها، وتفرد بالرواية عن أكثر شيوخه، وعمل شرحًا على المنهاج واختصر تاريخ المدينة، سمعت عليه بمنى وبالمدينة وبمكة، وولي قضاء المدينة وخطابتها سنة(809هـ)، ثم عزل بزوج بنته أبي حامد بن المطري. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص410؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5/ ص233.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص410.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص126، ص191، ص246، ج2/ ص27، ص150، ص 167.

(3) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص88، ص361، ج2/ ص45.

ومن تلك الروايات ما يتعلق بتاريخ وفاة المترجم لهم نحو قول ابن حجر في ترجمته لأحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر ابن أبي الفتح بن علي السجزي[1]:" ومات في شهر رمضان سنة 762هـ/ 1361م، وقيل كانت وفاته في ذي القعدة وقيل تأخر إلى سنة 763هـ/ 1362م، وله تسع وثمانون سنة"[2]. وبهذا نجد أنه لم يعرف أيًّا من تلك التواريخ من هو الصحيح لذا ذكرها جميعها مشككًا بصحتها.

فضلًا عن ذلك نلاحظ عدم تأكدهم من مكان وفاة المترجم له، مما كان دافعا لذكر ألفاظ التشكيك قبل ذكرهم المكان؛ ليعرف القارئ أنهم غير متأكدين من صحة الخبر، ومن ذلك قول ابن حجر في ترجمة أحمد بن علي القوصي (ت 723هـ/ 1323م)[3]: "وفاته

(1) أحمد بن علي السجزي بن يوسف بن أبي بكر بن أبي الفتح بن علي السجزي الحسيني إمام الحنفية بمكة ولد سنة 673هـ/ 1275م وسمع من الشريف الغرافي تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه منه ومن غيره وأجاز له باستدعاء البرزالي شمس الدين ابن العماد الحنبلي وأبو اليمن بن عساكر وعبد العزيز بن الخليلي والقطب القسطلاني وابن الأنماطي وآخرون، وسمع منه الحافظ العراقي قرأ عليه تاريخ المدينة لابن النجار بسماعه على الشريف بسماعه من مصنفه، وجاور بمكة واستقر أمام مقام الحنفية بها. ابن حجر، المصدر نفسه، ج1/ ص223.

(2) الدرر الكامنة، ج1/ ص224-225.

(3) أحمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القوصي تاج الدين بن دقيق العيد ولد في سنة 636هـ/ 1238م بقوص، وتفقه على مذهب مالك =

بالقاهرة وقيل بقوص"[1]. ومن أسباب ذكر عدة روايات حول الحدث الواحد هو اختلاف المصادر التي نهل منها أصحاب التراجم.

ولم يقتصر الأمر على ما ذكرناه بل شمل الشك والتضعيف في الروايات التي تتعلق بالمكانة العلمية للمترجم له، إذ أبدى ابن حجر شكه في علمية عمر بن أبي الحرم الكتناني (ت 738هـ/ 1338م)[2] حيث قال: "يقال ما في زمانه في الفقه مثله "[3]. فيشكك ابن حجر بهذه الرواية، بذكره الدليل على ضعفها بقوله: "ولكن لم يصنف شيئًا ولا انتفع به أحد من الطلبة ولا تصدى للفتيا..."[4]. أما في ترجمة إبراهيم بن علي المعروف بابن عبد الحق

= والشافعي ودرس بالنجيبية بقوص وكان يلقي كل يوم دروسًا في المذهبين وناب في الحكم، وكانت وفاته سنة 723هـ/ 1323م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص222.

(1) الدرر الكامنة، ج1/ ص223.

(2) عمر بن أبي الحرم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي المصري الشافعي ولد سنة 653هـ/ 1255م، وأجاز له أحمد بن عبد الدائم وسمع من إسماعيل بن أبي اليسر وأسعد بن القلانسي، وتفقه على البرهان محمود بن عبد الله المراغي وأخذ عنه التحصيل بعد أن حفظه وتاج الدين الفزاري وغيرهما واستنابه ابن بنت الأعز وولي الشرقية ودمياط، ثم ولي مشيخة خانقاه طيبرس. ينظر: الدرر الكامنة، ج3/ ص161-162.

(3) الدرر الكامنة، ج3/ ص163.

(4) الدرر الكامنة، ج3/ ص163.

(ت 744هـ/ 1343م)[1] فذكر: "يقال إنه انتهت إليه رياسة المذهب في عصره"[2]. وبهذا نجد أن ابن حجر قد شكك في المنزلة والمكانة التي كان يحظى بها المترجم له في ذلك العصر.

ومن جملة تلك الأخطاء ما يتعلق بضبط الأسماء، فقد بين ابن حجر العديد من تلك الأخطاء، ففي ترجمة عبد اللطيف بن عبد العزيز النحوي (ت744هـ/ 1343م)[3]، قال: "ومن الأوهام أن الإسنوى في الطبقات ذكر هذا فسماه أحمد وإنما هو عبد

(1) إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن يوسف الدمشقي، ابن قاضي حصن الأكراد، برهان الدين ابن كمال الدين المعروف بابن عبد الحق، ولد سنة 668هـ/ 1269م، وأخذ الأصول والعربية عن ظهير الدين الرومي، والصفي الهندي، والمجد التونسي وغيرهم، ورحل إلى القاهرة، فأخذ عن ابن دقيق العيد وأذن له بالإفتاء. ينظر: ابن حجر، رفع الإصر، ج1/ ص9.

(2) رفع الإصر، ج1/ ص9.

(3) عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف بن أبي العز الحراني الشافعي المعروف بابن المرحلة العلامة شهاب الدين النحوي، سمع من ابن الحبوبي وعلي البكري وشهاب المحسني وغيرهم، وتصدر بالجامع الحاكمي وانتفع به الناس، وكان أبوه يبيع الرحال للجمال، فلذلك قيل له ابن المرحل وكان فاضلًا في النحو والعربية والمعاني والبيان، وكان هو تاجر في الكتب اعتنى بالعربية وخصوصًا ألفية ابن مالك فكان فيها ماهرًا وأقرأها فأخذها جماعة حلب والقاهرة عنه. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص406-407.

اللطيف"[1].

ومن جملة الأخطاء ما يتعلق بعدم الدقة في ضبط التواريخ، وهذا ما نجده عند ابن حجر في ترجمة جنكلي بن محمد العجلي (746هـ/ 1345م)[2]، فبعد أن ذكر السبكي سيرة المترجم له يقع بالوهم في سنة دخوله إلى الديار المصرية حيث قال: "رأيت بخط تقي الدين السبكي بعد أن أرخه... وأول وصوله الديار المصرية في ذي الحجة سنة 702هـ/ 1302م، قلت وهو وهم منه فإنه إنما دخلها في آخر سنة 703هـ/ 1303م "[3]. وبهذا نخرج بالنتيجة التي تقول أن الوهم والخطأ يرجع إلى أسباب منها الغفلة وعدم الإحاطة فيما يلزم للمؤرخ من العلوم والمعارف التي تساعده على تقصي الحقائق.

كما وقف ابن حجر موقف الرافض لبعض الانتقادات التي

(1) الدرر الكامنة، ج2/ ص408.

(2) جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي، وكان وجيهًا جوادًا ذكيًّا يحب العلماء ويطارحهم، وأول من طلبه من البلاد وحسن له المجيء إلى القاهرة الأشرف خليل وكتب له منشورًا بإقطاع جيدة وجهزه إليه فلم يتفق حضوره إلا في أيام الناصر بعد موت غازان فإنه أرسل يستأذن في المجيء فأجيب وكتب إلى نواب الشام بتلقيه وتعظيمه، فتلقاه نائبها وجهزه إلى مصر فتلقاه بيبرس والأمراء فأكرم وأعطي إقطاعًا جيدًا. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ 539-540.

(3) الدرر الكامنة، ج1/ 540.

وجهها المؤلفون لعدد من الشخصيات ومن ذلك نقد ابن حجر ما نقله الذهبي في ترجمة تنكز نائب الشام (ت741هـ/ 1340م)[1]، بقوله:" وقال الذهبي في أواخر كتابه سير النبلاء، كان ذا سطوة وهيبة وزعارة وإقدام على القدماء... لأنه كان سيء الرأي حطمه غشمه مخافة العدو والصديق ويحذره المحق والمبطل لا يصفح عن ذنب ولا يقبل عذره ومع هذا لما أخذ رق له كثير من الرعية وحزنوا له قال وكان سياجًا على دمشق والناس به في أمن والظلمة كافون والرعية في عافية من المصادرة والعسف وكان (تنكز) مع علو رتبته وتقدمه لا يصلح للملك لبخله وحرصه وعدم تودده للأمراء"[2]. فرد عليه قائلًا: "إن الذهبي عندما أعرض عن محاسن تنكز ليس بصحيح فإنه ذكر منها الكثير إلا أنه بالغ في سرد معايبه والله المستعان"[3].

(1) تنكز نائب الشام يكنى أبا سعيد جلب إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف وأخذه لاجين بعده، ثم صار إلى الناصر فأمره عشرة قبل الكرك ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الأفرم فاتهم الأفرم مرة أن معه كتبًا إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكا إليه ما لاقاه من الإهانة فقال له إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام عوضه فلما عاد إلى المملكة قال لتنكز ولسودي لازما أرغون النائب وتعلما أحكامه فلازماه سنة ثم جهز سودي لنيابة حلب وتنكز لنيابة الشام على البريد. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص520-521.

(2) الدرر الكامنة، ج1/ ص526-527.

(3) الدرر الكامنة، ج1/ ص527-528.

ونلحظ في المنهج النقدي الذي سلكه ابن حجر، نقده المؤلفين لإهمالهم ذكر بعض المعلومات لأسباب معينة، ففي ترجمة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي(ت 701هـ/ 1301م)[1]، نرى ابن حجر ينتقد الحافظ عبد القادر في طبقاته[2]، لعدم ذكره لسنة وفاة المترجم له: "قلت وهو ممن يلزم المؤلف ذكره فإنه توفي ليلة الجمعة من شهر ربيع الأول سنة 701هـ/ 1301م ودفن ببلده إيدج فأما أن المؤلف لم يقف عليه أو أهمله لكونه حنفيًّا فإنه يصنع في الغالب كذلك "[3]. ونرى مما سبق أن ابن حجر أعطى أكثر من سبب من

(1) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، أحد الزهاد المتأخرين صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول له المستصفي في شرح المنظومة وله شرح النافع سماه بالمنافع وله الكافي في شرح الوافي وله كنز الدقائق وله المنار في أصول الفقه وله العمدة في أصول الدين. تفقه على شمس الأيمة الكردري وروى الزيادات عن أحمد بن محمد العتابي سمع منه الصغناقي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص247.

(2) عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء الفرشي محيي الدين الحنفي، ولد في شعبان سنة 696هـ/ 1393م وعني بالفقه حتى مهر ودرس وأفتى وأجاز له الدمياطي وغيره وسمع بمكة من الرضي الطبري وسمع من ابن الحسن ابن الصواف وحسن بن عمر الكردي والرشيد ابن المعلم وغيرهم، وجمع كثير وعني بالطلب وكتب الكثير، وجمع طبقات الحنفية وخرج أحاديث الهداية وغير ذلك. مات في شهر ربيع الأول سنة 775هـ/ 1472م. ينظر: الدرر الكامنة، ج2/ ص390.

(3) الدرر الكامنة، ج2/ ص247.

وراء ذلك أما أن المؤلف أهمله وهذه دلالة على عدم الدقة في ضبط التواريخ، الأمر الذي يوضح مدى دقة ابن حجر في تتبع الأخطاء التي وقع فيها الحافظ عبد القادر، ومن ثم انتقد السبب من وراء ذلك وعدها أسبابًا مذهبية.

ولم يكتف ابن حجر بعرض الروايات التاريخية، وإنما إيراده لمختلف الآراء والأخبار التي تخص مسألة من المسائل، بل كان يشارك بآرائه ومناقشاته وتحليلاته.

فقارن بين مصادره في الأخبار التي أوردها، كما جاء في ترجمة إسماعيل بن يعقوب بن إسماعيل بن صبيح، فيقارن ابن حجر قائلًا: "ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو عروبة مات قبل أبي داود الحراني سنة "270هـ". قلت: وموت أبي داود سنة "272هـ" وأخرج عنه ابن خزيمة في صحيحه وأظنه حفيد إسماعيل بن صبيح الذي تقدم ذكره وهو بفتح الصاد المهملة"[1].

كما استخدم ابن حجر عددًا من العبارات النقدية التي تهدف إلى المقارنة والتحليل، كقوله" وهذا يقوي"، فكان يدعم آراءه والدليل والبرهان، كما جاء في ترجمة قرظة بن كعب بن ثعلبة الأنصاري، فيورد رواية مفادها أن قرظة بن كعب بعد تولية ولاية الكوفة من قبل عمر بن الخطاب توفي بها، وقيل في امرأة المغيرة بن شعبة حين تولى الكوفة، وانه أول من نيح عليه بالكوفة، فقال المغيرة

(1) تهذيب التهذيب، ج1/ ص337.

سمعت النبي (ﷺ) يقول: "من نيح عليه يعذب" رواه مسلم والترمذي[1].

فيقارن ويحلل تلك الرواية بقوله: "رجح المؤلف أنه مات في إمارة المغيرة واستدل لذلك بالحديث المتقدم وليست فيه دلالة لاحتمال أن يكون المغيرة قال ذلك عند موته ولم يكن حينئذ أميرًا وقد جزم أبو حاتم الرازي وابن سعد وابن حبان وابن عبد البر بأنه مات في ولاية علي وأن عليًّا صلى عليه لكن في صحيح مسلم في هذه القصة عن علي بن ربيعة أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة وفي رواية له أول من نيح عليه بالكوفة قرظة بن كعب وفي رواية الترمذي مات رجل من الأنصار يقال له قرظة بن كعب فنيح عليه فجاء المغيرة فصعد المنبر فهذا يقوي قول من قال إنه مات في إمارة المغيرة وكانت إمارته على الكوفة في عشر الخمسين[2].

ويتضح مما سبق، أن ابن حجر، على الرغم من اعتماده على الكثير من المصادر في بناء مادته العلمية، كانت له نظرة في تلك الأخبار المنقولة عنها، فقد تعامل مع تلك الأخبار على أنها جزئيات تخضع للنقد، لذا لم يتحرج من مناقشتها، وكشف أوهامها، بمعنى مناقشة مصادره المكتوبة تصويبًا لأخطائها.

فبرزت شخصية ابن حجر العلمية في نقده ما وقع به المؤرخون

(1) تهذيب التهذيب، ج8/ ص369.

(2) تهذيب التهذيب، ج8/ ص369.

من أغلاط وأخطاء في عرضهم للروايات التاريخية، بالرغم من ثقته بمؤلفي مصادره، فإن أساليب نقده تنوعت من خلال بعض المصطلحات التي استخدمها بالنقد من تعجيب واستغراب، أو رد الخطأ عنهم بسقط، أو سهو، أو نسيان، داعمًا رأيه بالأدلة التاريخية التي تُعضد صحة رأيه، فضلًا عن المشاركة بآرائه وتعليقاته وتحليلاته في الروايات المختلف في صحتها، فضلًا عن منهج التشكيك في بعض الروايات واستخدام الألفاظ النقدية الدالة على ذلك.

الفصل

الثاني

2

نقد الجانب السياسي

النقد في اللغة: مشتق من فعل(نَقَدَ) ويقال: نقدت الدراهم وانتقدتها: إذا خلصتها من الزيف، والنقد : تمييز الدراهم وتشخيص الزيف منها، وناقدت فلانًا إذا ناقشته في الأمر[1].

ونقد الشيء ينتقده نقدًا إذا نقره بأصبعه، ونقد الطائر الحب ينقده إذا كان يلقطه التقاطًا، والإنسان ينتقد الشيء بعينه، وهو مخالسة النظر لئلا يفطن له[2].

أما النقد اصطلاحًا: هو دراسة الرواة والمرويات لتمييز جيدها من رديئها، وعلوم الحديث كلها تعتبر نتاجًا لهذه المهمة التي اضطلع بها المحدثون والحفاظ، ومن أبرز هذه العلوم: علما الجرح والتعديل وعلل الحديث[3].

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج3/ 425-426.
(2) المصدر نفسه، ج3/ ص425-426.
(3) الخطيب البغدادي، أصول الحديث، ص 262.

ويتضح من ذلك ارتباط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي ارتباطًا وثيقًا.

أما النقد التاريخي: هو الذي يهدف إلى تصحيح الأخطاء الواردة في الدراسات التاريخية، والبحث عن حقيقة الشيء من حيث كونه أصيلًا أم زائفًا[1]، فضلًا عن تحديد معاني الكلمات، لأنها تختلف أحيانًا من حيث المعنى من مكان إلى آخر[2]، وبهذا فقد قسم النقد إلى قسمين: النقد الإيجابي ويهدف إلى التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة بقراءة النص التاريخي ومحتوياته، أما النقد السلبي فيهدف إلى حقيقة أن المؤرخين يخطئون ويصيبون فيجب التمييز بين تزوير وكذب المؤرخ وبين

(1) ضاحي، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص118.
(2) خليل سعيد، منهج البحث التاريخي، ص166 .

خطأ ارتكبه أو معلومة خُدع بها، وينضوي تحت هذا النوع النقد السلبي الهادف إلى التشهير بمؤرخ ما لأهداف خاصة وشخصية، وليس هدف هذا النقد سوى المس بالمؤرخ بسبب اتجاهاته السياسية أو الفكرية وبسبب دوره الفكري الذي يقوم به في المجتمع[1].

وبهذا فإن النقد يعني الكشف عن عيب أو نقص خفي وهذا العيب قد يكون دينيًّا أو أدبيًّا أو سياسيًّا أو اجتماعيًّا.

أولاً: نقد أصحاب القرار السياسي

إن من إفرازات الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة اندفاع العلماء نحو تكريس حياتهم لخدمة العلم والمحافظة عليه من الضياع في ظل التردي السياسي الذي عاشته الدول الإسلامية، فاتجهوا بكامل طاقاتهم نحو رفد المكتبات بإسهاماتهم العلمية، وتزويد المجتمع الإسلامي بالكتب القيمة، وحثه على الوعي العلمي، ويمكن تأشير ذلك الأثر الفاعل الذي نهضت به المؤسسات التعليمية في القرن التاسع الهجري، وهو ظاهرة النقد التاريخي عند مؤرخي ذلك العصر، وأسهمت الحركة الفكرية في ذلك القرن بتطور هذا النشاط العلمي، وتمثل ذلك بالجوامع، والمدارس، والخوانق، والزوايا، والربط، وما شيد من مستشفيات ومكتبات

(1) عثمان، منهج البحث التاريخي، ص 117-145؛ رستم، مصطلح الحديث، ص 12-41.

علمية، ودور الدولة في رصد الأوقاف لإمداد هذه المؤسسات بكل ما تحتاجه في سبيل نهضة العلم وتشجيع طلابه.

وبرز هذا الأمر جليًّا من خلال درجة شيوع تلك المؤسسات على اختلافها، وفي هذا المبحث سنناقش ظاهرة نقد السلاطين عند مؤرخي التراجم المصريين خلال القرن التاسع الهجري.

إن نقد رجالات السلطة لم يقف عند إظهار الجوانب الايجابية والسلبية، وإنما جاوزه إلى إصدار الحكم على الكثيرين من السلاطين والأمراء وأرباب المناصب في الإدارة المملوكية .

لقد اتبع ابن حجر النقد الإيجابي والسلبي للشخصيات المترجم لها، ففيما يتعلق بالجانب الإيجابي كان يراعى في السلاطين: الشجاعة، والحزم، والخبرة بالأمور، وعلو الهمة، والرجوع إلى الحق والدين، وعدم الجور، ومحبة العلم واحتضان أهله وتشجيعهم، أو ما يقع على أيديهم من فتوحات للإسلام والمسلمين، وهي مقاييس مهمة تؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة النقد وتقويمه لهم.

ويذكر ابن حجر في ترجمة الظاهر برقوق الذي حكم المدة الأولى(784-791هـ/ 1382-1389م) المدة الثانية (792-801هـ/ 1390-1399م)[1]:"كان شهمًا شجاعًا ذكيًّا، خبيرًا

(1) برقوق بن آنص، السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق العثماني اليلبغاوي الجاركسي، سلطان الديار المصرية، القائم بدولة الجراكسة، =

بالأمور، إلا أنه كان طماعًا جدًّا بحيث لا يقدم على جمع المال شيئًا، ولقد أفسد أحوال المملكة بأخذ البذل على الولايات في وظيفة القضاة والأمور الدينية" [1].

نستنتج من هذا الحكم الصادر عن ابن حجر أن صفة الطمع المثبتة على المترجم له، وما يتبع ذلك من الوهن الوظيفي، هي سمة عهده، لأنه الحاكم والناس على دين ملوكهم كما يقال.

إن الذي دفع ابن حجر إلى نقد الظاهر برقوق هو أن هنالك شواهد تاريخية تؤكد ما قام به الظاهر برقوق وهي ما ذكره ابن حجر نفسه : ففي السنة الأولى من سلطنته تعرض لمؤامرة حيكت لعزله وإحلال الخليفة المتوكل(779-785هـ/ 1377-1383م) محله، لكن برقوقًا اكتشف هذه المؤامرة وأحبطها فعزل الخليفة المتوكل وأحل محله الخليفة الواثق بالله (785-788هـ/ 1383-1386م)[2].

لكن نلحظ أن ابن تغري بردي يخالف ابن حجر في هذه

= جلبه خواجا عثمان من بلاده، وكان اسمه ألطنبغا، وقيل سودون. فلما اشتراه الأتابك يلبغا العمري الخاصكي سماه برقوقا لنتو في عينيه. ينظر:ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج 3/ ص285-286.

(1) إنباء الغمر، ج 2/ ص68.

(2) إنباء الغمر، ج1/ ص200-201.

الترجمة فيصف الظاهر برقوق بأنه كان يكره في جمع المال كان يتروى في الشيء المدة الطويلة ويستشير الأمراء وغيرهم فيما يفعله من الولاية والعزل وغير ذلك، وكان يتصدى للأحكام بنفسه، وينزل يومي السبت والثلاثاء الإصطبل السلطاني للحكم بين الناس، ولم تكن عنده الدعوى لمن سبق، ولو كان عنده، بل يقول له: حتى تسمع كلام خصمك ما يقول فيك هو أيضًا؛ فلهذا كانت حقوق الناس غير ضائعة، وكان لا يتجرأ صاحب وظيفة على أن يتكلم في وظيفة غيرها - كائنًا من كان، كبيرًا كان أو صغيرًا - بل كل واحد يتحدث فيما يتعلق بوظيفته.

وكان يحب أهل الخير والصلاح، وكان يقوم للقضاة والفقهاء وأهل الخير، وهذا شيء لم يعهد من ملك قبله في الدولة التركية؛ وتنكر للفقهاء بعد حبسه بالكرك؛ من أجل أنهم أفتوا بقتله، ومع ذلك كان لا يترك إكرامهم[1].

ويبدو أن هذه المؤامرة كانت سببًا في دفع برقوق إلى التطرف واضطهاد من يشك فيهم وبخاصة البحرية الأتراك، فطرد عددًا كبيرًا منهم من وظائفهم ونفى بعضهم إلى الشام، على أن هذه الإجراءات أدت إلى قيام ثورة في شمال الشام ضد برقوق في سنة (791هـ/ 1389م) تزعمها منطاش نائب ملطية ويلبغا الناصري

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج 1 / ص317.

نائب حلب، حيث زحفت جموعهم نحو دمشق ثم القاهرة وسيطروا عليها فهرب برقوق ثم ألقى القبض عليه ونفي إلى الكرك[1].

وكذلك نلحظ في ترجمة والي القاهرة ودمياط بلبان المحسني (ت736هـ/ 1335م) إذ وصفه ابن حجر بقوله: "كان والي القاهرة ثم ولي نيابة دمياط وكان خيرًا مشكورًا "[2].

وكذلك نلحظ أن هنالك من الولاة من اتصف بسلوك غير أخلاقي واشتهر بالفساد الذي أثر على الحياة الاجتماعية، ومن هؤلاء الأمير دولات خجا بن عبد الله الظاهري، سيف الدين، والي القاهرة ومحتسبها(ت 841هـ/ 1437م):" وكان هذا ظالمًا غاشمًا، ولي كشف الوجه القبلي[3] فتعدى الحد في العقوبة حتى كان يأمر بأن ينفخ في دبر من يريد عقوبته حتى تندر عيناه وينفلق دماغه"[4]. والمؤرخ بذكره لهذا النوع من العقوبات إنما يرصد بشاعة بعض

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي،ج 1/ ص317-318 .
(2) الدرر الكامنة،ج1/ ص494.
(3) ويقصد بالوجه القبلي الجزء الجنوبي من البلاد ويشار إليه بالصعيد أو أعلى الأرض. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج3/ ص292 وص 298؛ المقريزي، الخطط، ج1/ ص 14؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 25؛ مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، ص 322.
(4) ابن حجر، إنباء الغمر، ج 2/ ص83.

الولاة في الإفراط في استخدام القوة ضد الرعية.

وكذلك لم يغفل ابن حجر في نقده لطبقة الوزراء، فأشار إلى ذكر المكانة ومنزلة المترجم له، كنحو قول ابن حجر في ترجمة الوزير شهاب الدين البارزي (ت 755هـ/ 1354م)[1]، النص الآتي: "رجل جيد، كثير البر والتودد والتواضع، من بيت كبير... وكان حسن الملتقى والود من بيت مشهور... كانت له ديانة متينة وسيرته مشكورة"[2].

ثانيًا: نقد القضاة

القضاء في اللغة والاصطلاح

جاء القضاء في اللغة بمعنى الحكم والجمع أقضية[3]، وهو

(1) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حبان بن محمد بن منصور بن أحمد، القاضي الصاحب شهاب الدين أبو العباس الجهني الحموي الشافعي، المشهور بابن البارزي، نسبة إلى باب أبرز أحد أبواب بغداد، وكان أصله أبرزي ثم خفف لكثرة الدور فقيل البارزي، نزيل دمشق، مولده في شوال سنة 674هـ/ 1275م، تولى الوزر بمدينة حماه، وولي نظر الأوقاف بدمشق، توفى بظاهر دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص178؛ السيوطي، نظم العقيان، ج1/ ص57.
(2) الدرر الكامنة، ج1/ ص178.
(3) الرازي، مختار الصحاح، ص540؛ ابن منظور، لسان العرب، ج15/ ص186.

إحكام وإتقان العمل والفراغ منه[1]، ويأتي بمعنى اللزوم، لهذا سمي القاضي قاضيًا لأنه يلزم الناس[2]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾[3]، أي إلزم بما شئت واصنع ما بدا لك[4]، ويكون قد سمي قاضيًا لإيجابه الحكم على من يجب عليه؛ لأن (قضى) تأتي بمعنى أوجب[5]، فالقاضي إذن هو القاطع والمحكم للأمور[6].

وعلى الرغم من ورود القضاء في اللغة بمعانٍ مختلفة، فإن جميعها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه[7]، ومن يتولى هذه المهمة يطلق عليه اسم (القاضي) لأنه يمضي الإحكام ويحكمها، أو

(1) السمناني، روضة القضاة، ج1، ص49 ؛ ابن منظور،المصدر نفسه، ج15/ ص186؛ الزبيدي، تاج العروس، ج10/ ص297.
(2) الطرابلسي، معين الحكام، ص3.
(3) سورة طه: آية 72.
(4) الطرابلسي، معين الحكام، ص6.
(5) مسلم، الجامع الصحيح، ج3/ ص1336.
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، ج9/ ص 211-212 ؛ الزبيدي، تاج العروس، ج10/ ص297.
(7) الأزهري، المصدر نفسه، ج9/ ص211؛ الزبيدي، المصدر نفسه، ج10/ ص296.

يطلق عليه اسم (الحاكم) لمنعه الظالم من الظلم[1].

أما القضاء اصطلاحًا وشرعًا فقد عرف "بأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتداعي وقطعا للتنازع"[2]؛ لأن القضاء بحقيقته هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، وقضى القاضي أي لزم الحق أهله[3].

فهو إذن الحاكم الذي يحل الخلافات بين الذين يقصدونه من الشكاة فيحكم بين المذنبين الذين ثبتت إدانتهم بحكم القانون، من ناحية أخرى فهو القيام بالأحكام الشرعية وتنفيذها بحسب أوامر الشرع وقطع المنازعات[4].

وقد راعى المؤرخون المصريون في القضاة أمورًا أهمها التورع والعفة، وغزارة علم، والمعرفة بالأمور الشرعية، وحسن السيرة، وفي ضوء ذلك ذكر ابن حجر في ترجمة علي بن مخلوف النويري قاضي القضاة (ت 718هـ/ 1318م)[5] "وكان كثير الأفضال،

(1) مسلم، الجامع الصحيح، ج3/ ص1336.
(2) ابن خلدون، المقدمة، ص220؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1/ ص244.
(3) الطرابلسي، معين الحكام، ص6؛ الأنباري، النظام القضائي، ص51.
(4) القلقشندي، مآثر الانافة، ج1/ ص77.
(5) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين، ولد سنة 634هـ/ 1236م، اشتغل على مذهب مالك ومهر =

حسن المودة، كثير المروءة، وافر الاحتمال، عظيم البر لأهل العلم والاشتغال، عارفًا بالأحكام من جهة الدُّرْبة والتجربة"[1]، أما في الدرر الكامنة فيقول: "اشتغل على مذهب مالك ومهر... وكان مشكور السيرة كثير الاحتمال والإحسان"[2].

ومن القضاة محمود بن محمد الحنفي (ت 799هـ/ 1397م)[3]، الذي امتدح لأنه "كان حسن المباشرة مشكور السيرة، عفيفًا وله حرمة عند الترك وغيرهم"[4].

وفي أكثر الأحيان نلحظ أن ابن حجر يصف القضاة بعبارة تكون مختصرة ولكنها تحمل معنى كبيرًا مثل: لفظ (سيء السيرة)،

= وعمل أمين الحكم ثم استقر في القضاء في أواخر سنة 685هـ/ 1286م فباشره إلى أن مات إلا أن الناصر عزله لما رجع من الكرك في سنة 711هـ/ 1325م وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ نائبًا مالكيًّا من جهته فاستناب القاضي بدر الدين بن رشيق ثم أعيد ابن مخلوف. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص127-128.

(1) رفع الإصر، ج1/ ص123.

(2) الدرر الكامنة، ج3/ ص127-128.

(3) محمود بن محمد بن إبراهيم بن سنبلي الحنفي، تفقه ومهر في المذهب وناب في الحكم عن جمال الدين ابن العديم ثم ولي قضاء حلب عوضًا عن محب الدين ابن الشحنة وذلك في سنة 793هـ/ 1390م فباشر مدة يسيرة ثم انفصل، ثم عاد واستمر إلى أن مات . ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص333.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص333.

ومنهم: إسماعيل بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هانئ اللخمي الغرناطي (ت 771هـ/ 1370م)، ولي قضاء المالكية بحماة، وهو أول مالكي ولي القضاء بها، ثم قضاء الشام، ثم أعيد إلى حماة، ثم دخل مصر، فأقام يسيرًا، وشرح تلقين أبي البقاء في النحو، وقطعة من التسهيل، وكان يحفظ من الشواهد كثيرًا جدًّا، ولم يكن في المالكية بالشام مثله في سعة علومه، فساءت سيرته جدًّا [1].

وكذلك القاضي أحمد بن علي بن عبد الله بن علي، الحنبلي القاضي شهاب الدين ابن الحبال الطرابلسي (ت 833هـ/ 1429م)، ولي القضاء بطرابلس، وصار أمر البلد إليه، وكان يقوم على الطلبة ويرد عنهم، ويتعصب لعقيدة الحنابلة، ثم نوه به ابن الكويز[2] فنقل إلى قضاء دمشق، فدخلها سنة 824هـ/ 1420م، فاستمر إلى أن صرف في سنة 832هـ/ 1428م، بسبب ما اعتراه من ضعف البصر والارتعاش وثقل السمع، وكانت الأمور بسبب ذلك تخرج كثيرة الفساد، وكان مع ما أصابه كثير العبادة ويلازم صلاة الجماعة، وكان منصفًا لأهل العلم قليل البضاعة في الفقه؛

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص381.

(2) هو القاضي علم الدين داود ابن الكويز من مواليد الكرك من أسرة ذميه يهودية حديثة العهد بالإسلام وكان أبوه من كبار الكرك النصارى. المقريزي، السلوك، ج4/ ص643، ص652؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج3/ ص213؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس، ج3/ ص20.

ورحل إلى طرابلس فمات بها سنة 833هـ/ 1429م[1].

نستشف مما ذكر عن القضاة ويمكن تسجيل بعض الأمور منها: أن القضاة كانوا من أكثر الشخصيات المترجمة التي انتقدها ابن حجر، وقد يعود ذلك إلى حساسية منصب القضاء وكونه على مساس مباشر بحياة الناس ومصالحهم، وكون فساد القضاة وظلمهم للرعية هو خلاف الغاية من وجود ذلك المنصب وهو إحقاق الحق والحكم بالعدل بين الناس، ومنها أيضًا أن ابن حجر ركز في نقده للقضاة على مدى أحقيتهم للمنصب وأهليتهم له من الناحية العلمية، ومدى التزامهم بشروط منصب القضاء وأهمها الحكم بالعدل بين المتخاصمين.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج2/ ص72.

الفصل

الثالث

3

نقد الجـانب الإداري

تميز حكم المماليك البحرية والبرجية بقيام تنظيمات إدارية جديدة اعتمدت في إدارتها على طبقة من الموظفين الكبار مارسوا حق التصرف في كل الأمور السلطانية الإدارية التي يتولون مهامها.

فاعتمد هذا الجهاز الإداري الضخم الذي عرفته دولة المماليك على مجموعة كبيرة من الدواوين كان يديرها موظف خاص عرف باسم ناظر أو رئيس[1] وله ميزانية خاصة وعدد من الموظفين يتبعونه وينفذون أوامره، وقد استمرت هذه الدواوين في النمو والتطور طوال عصر سلاطين المماليك، حتى صارت لها أوضاعها الثابتة ونظمها الراسخة وتقاليدها الموروثة إداريًّا وتنظيميًّا، ومن

(1) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص298؛ النابلسي، لمع القوانين، ص20-25.

أهم هذه الدواوين وأكثرها انعكاسًا على استقرار السلطنة هي ديوان الأحباس[1]، وديوان الخاص[2]، وديوان الإنشاء[3].

(1) ديوان الأحباس: وهي وظيفة عالية المقدار وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة، وما هو من ذلك على سبيل البر والصدقة لأناس معينين. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج4/ ص39.

(2) لقد انبثق هذا الديوان عن ديوان النظر، فقد كان يشرف على شؤون السلطان المالية ومراقبة الخزانة السلطانية والإنفاق على شؤون الدور السلطانية. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج1/ ص 46؛ المقريزي، الخطط، ج1/ ص87.

(3) ديوان الإنشاء: وهو من الدواوين المهمة، فمنه صياغة الكلام وترتيب المعاني في المكاتبات والولايات والمساحات والإطلاقات، وسمي أيضًا بديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات، أما كاتب الإنشاء فهو ما يشير إلى =

ومن النظم الإدارية، الحسبة، وكانت في مدن الإسلام وظيفة جليلة كالقضاء، وهي تابعة للخلافة، ولكن منذ أن انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة في أيام المماليك، وأصبحت جميع السلطات بيد السلطان، فإن الأخير كان هو الذي يولي الوظائف الدينية بما فيها الحسبة[1].

وإن هذا المنصب كان يليه المتعممون أي العلماء، لأنه كان يشترط فيمن يتولاه أن يكون عارفًا بأحكام الشريعة، ولكن هذا المنصب انحط في أغلب عصر المماليك على سمو مكانته، بسبب فساد المماليك، حتى صار أقل الوظائف[2].

ونظرا لأهمية هذا الديوان وخطورته، فقد كان متوليه يختار من أرفع الناس طبقة، ومن الذين يتصفون بالمروءة والحشمة، ويتمتعون بمستوى علمي وفني ولغوي جيد[3]، فضلًا عن معرفته

= توقيع كُتّاب الإنشاء على الرسائل الإدارية التي استعملت من أهل الديوان أو صاحب التوقيع لتوقيعه على حواشي القصص والرقع التي تخرج من دركاه السلطان، أو ديوان الوزير، أو حتى صاحب الديوان. ينظر: القلقشندي، المصدر نفسه، ج1 / ص90.

(1) ابن خلدون، المقدمة، ص128.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى،ج11/ ص211.

(3) النويري، نهاية الأرب، ج8 / ص191 ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص438؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج13/ ص103؛ ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص99.

بآيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم ﷺ وأن يكون عارفًا بسير الخلفاء والملوك ملمًّا بتواريخ الأمم[1].

وهذا ما نجده في وصف الكاتب عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر(ت 714هـ/ 1314م)[2] فقد ذكره بقوله:" ومهر في الآداب وقال الشعر الحسن وكتب للمؤيد باليمن، وكان يملي على أربعة أنفس قريضًا من فيه، على وفق غرض مستدعيه من غير لعثمة ولا فأفأة ولا تمتمة في أوزان مختلفة وقوافي غير مؤتلفة"[3].

ويرصد ابن حجر في المترجم له شهرته الأدبية التي أحيانًا تفوق أقرانه فاق بها أقرانه في هذه الصناعة، لذلك نال احترام وتعظيم السلاطين الذين اشتغل معهم جميعًا.

ولهذا نلحظ أن ابن حجر يصف كاتب الإنشاء زين الدين عبد الرحمن بن الخضر بن عبد الرحمن السنجاري ثم الحلبي (ت 744هـ/ 1344م) بقوله: "كان من الفضلاء له نظم ونثر مع دماثة

(1) النابلسي، لمع القوانين، ص24؛ الظاهري، المصدر نفسه، ص99.

(2) عبد الله بن جعفر التهامي عفيف الدين أبو جعفر، أحد كتاب الإنشاء للملك المؤيد صاحب اليمن، ولد قبل سنة 650هـ/ 1250م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص253.

(3) المصدر نفسه، ج2/ ص253.

الخلق ومحبة العلماء وأهل الحديث"[1].

وكذلك وصف الكاتب محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتب السر(ت 746هـ/ 1345م)[2] بقوله: "كان عاقلًا ساكنًا كثير الصمت حسن السيرة أحبه الناس"[3].

والكاتب عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد(ت 764هـ/ 1362م)[4] الذي "مهر في الإنشاء وكان حسن الأخلاق والكتابة مليح المحاضرة كريم النفس"[5].

أما فيما يخص النقد السلبي، فقد تدهورت حال كتابة السر أيام

(1) الدرر الكامنة، ج2/ ص328.

(2) محمد بن يحيى بن فضل الله بدر الدين ابن محيي الدين كاتب السر، ولد سنة 710هـ/ 1310م، وتعانى صناعة أبيه وكان في خدمته بدمشق ومصر، استكتبه أخوه في توقيع الدست بدار العدل وأرسله أخوه علاء الدين إلى دمشق فباشر كتابة السر بها عوضًا عن أخيه شهاب الدين وذلك في رجب سنة 743هـ/ 1342م، وهو شقيق شهاب الدين وكان أحب إخوته إليه وإلى أبيه وسد بدر الدين الوظيفة عن أخيه علاء الدين لما توجه إلى الكرك. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج4/ ص282.

(3) المصدر نفسه، ج4/ ص282.

(4) عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح الحلبي شمس الدين أبو محمد، كاتب الإنشاء بحلب ولد سنة بضع وسبعمائة. ينظر: ابن حجر، المصدر نفسه، ج2/ ص310.

(5) المصدر نفسه، ج2/ ص310.

ولاية كل من جمال الدين يوسف بن صفي السالمي الكركي، وشمس الدين محمد الهروي، ونجم الدين عمر بن حجي على التوالي، إلى أسوء حالها في تاريخ هذه الولاية، بسبب قوة إدارة السلطان الأشرف برسباي من جهة، وجهل بعضهم بخصوصيات هذه الوظيفة وأسرارها من جهة أخرى.

فكان السالمي جمال الدين يوسف بن الصفي(ت 856هـ/ 1452م)[1]، قد تولى أولًا كتابة السر بالديار المصرية في الخامس من شوال سنة (826هـ/ 1422م) بعد موت سلفه علم الدين داود ابن الكويز السالمي، وحصل عليها نظير مبلغ مالي دفعه للسلطان الأشرف برسباي[2]، إلا أنه سرعان ما عزل عنها في التاسع من ربيع الأول سنة827هـ/ 1423م، ولم يمضِ مستقرًا فيها سوى

(1) كان جمال الدين يوسف بن صفي الكركي من أسرة مسيحية حديثة العهد بالإسلام من أهل الكرك، عمل والده كاتبًا عند قاضيها عماد الدين إلى أن توفي، فخلفه ولده جمال الذي صحب القاضي عماد الدين إلى القاهرة واتصل بعلم الدين داود اليهودي أيام نظارته لديوان الجيش والذي توسط عند الملك المؤيد شيخ لينقله من كِتابة الشام إلى نظر الجيش بطرابلس، ثم عاد إلى القاهرة في آخر أيام السالمي ابن الكويز فحسنت علاقته بالأشرف برسباي والذي وعد بمال كبير إذا ولي كِتابة السر بالديار المصرية. المقريزي، السلوك، ج 4/ ص ص642-643؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج10/ ص318.

(2) المقريزي، السلوك، ج4/ ص ص642-643؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص256.

ستة أشهر، بعد أن ظهر عجزه في كِتابة جواب لكِتاب ورد على السلطان من بعض ملوك الأقطار الإسلامية يشتمل على نظم ونثر وفصاحة وبلاغة، كان الأشرف برسباي قد أراد من كاتب سره جمال الدين أن يجيب بأحسن منه أو بمثله[1].

لقد خلع السلطان الأشرف برسباي على قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي في التاسع من ربيع الثاني سنة 827هـ / 1423م وسلمه كتابة سر السلطنة بالديار المصرية، وهو على ما يظهر من لقبه مشرقي من أهل هراة[2]، عاش ردحًا من الزمن بالقدس، قبل أن يتوجه إلى مصر من أجل السعي لولاية ديوان كاتب السر فيها، واعدًا السلطان بمال كثير إن عقدت الولاية باسمه[3].

وهذا دليل آخر يثبت الفساد الإداري المتفشي في مرافق الدولة، إذ أصبحت المناصب تباع وتشترى من قبل أصحاب الأموال وليس لمن يمتلك المؤهلات الإدارية التي بموجبها يكون أهلًا لتسلم زمام هذه المناصب[4]. والذي يمكن تسجيله هنا أن معظم

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3/ ص325.

(2) هراة : مدينة عظية مشهورة النسب من أمهات مدن خراسان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص106-107.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج3/ ص325.

(4) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: ضاحي، الفساد الإداري، ص55- وما بعدها.

مؤرخي التراجم المصريين في القرن التاسع الهجري انتقدوا ظاهرة الفساد الإداري آنذاك.

وكذلك نجد أن المحتسب تعرض للنقد من قبل ابن حجر، ويظهر أن بعض محتسبي العصر المملوكي ساروا سيرًا حسنًا، وتمتعوا بسمعة طيبة في مصر وخارجها، فذهب بعض المؤرخين إلى ذكر منزلة المحتسب ومكانته، كنحو قول ابن حجر في ترجمة المحتسب محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي بن الشيخ وجيه الدين(ت746هـ/ 1344م)[1] : "وكان ذكيًّا... جماعًا للكتب... وكان صدرًا رئيسًا كثير الحشمة والمروءة حسن الشكل محبًّا لأهل العلم"[2].

وهذا ما نلحظه أيضًا في ترجمة محمود بن محمد بن داود القسري (ت 799هـ/ 1396م)[3] الذي "ولي الحسبة فسار فيها سيرة حسنة وأحبه الناس... ثم استضاف إليه القضاء وكان رئيسًا كاملًا

(1) محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي عز الدين بن الشيخ وجيه الدين، ولد في أول سنة 688هـ/ 1289م، وولي حسبة دمشق ونظر الجامع، وهو والد الشيخة أم الحسن فاطمة التي أكثر عنها في رحلتي إلى دمشق. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص357.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص357.

(3) محمود بن محمد بن داود القسري جمال الدين الحنفي المعروف بالعجمي، قدم القاهرة، وتوصل بصحبة الأمراء إلى مقاصد كثيرة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص335.

وفاضلًا "[1].

وبهذا نجد أن هذه الوظيفة كانت لها هيبتها ومكانتها في الشطر الأول من عصر المماليك، وكان المحتسب يحتل مكانة مهمة في المجتمع ويعد مسؤولًا في نظر الناس عن حالة السوق، فإذا ما كانت الأسعار معقولة والأسواق مستقرة كان المحتسب يلقى رضاء الناس عنه، والدليل على ذلك أنه تولى وظيفة القضاء إضافة إلى الحسبة.

لقد كانت وظيفة ناظر الجيش من الوظائف العالية في الدولة، وذلك لأن المسؤول عنها يشرف على الجيوش وما يتعلق بها من جميع النواحي في ذلك العصر الذي كان فيه للجندية مكانة رفيعة، ونلاحظ هذا في ما ذكره ابن شاهين الظاهري (ت873هـ/ 1467م) : حينما بين مكانة ومهام ناظر الجيش بقوله: "أنه أصبح أهل الدراية بتدبر الممالك، ومن أنصف إصلاحها بإيضاح الطرق والمسالك، إنه فراسة المملكة وسياقة الدولة، وضبط أمور الجيش، وحفظ أموال الجندي فإنه قطب مدارها، وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به، والنظر في مصالح كتابته، فإن شأنه أرفع، وديوانه أجمع، وعلمه أوسع، ولا سيما في دولة فسيحة الأطراف، واسعة الأكناف، وقد دلت جريدة جيشها على الآلاف، تحتاج إلى ترتيب منازلها على قدر طبقاتها، وضبط إقطاعاتهم، ورعاية مبادئ مددهم وأقواتهم،

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص335.

ومعظم هذه الأمور معروفة بناظر الجيوش المقصود والمشار إليه، والذي مداره جميع أحوال المملكة على ما يصدر عنه ويرد إليه"[1].

وتوجب على ناظر الجيش أن يتصف بالمعرفة، الأمانة، وأن يكون ملمًّا بأحوال البلاد ومواضعها من الإقليم[2].

ويبدو أن ناظر ديوان الجيش كان يحفظ سجلات خاصة عن أحوال الإرواء لسقي المزروعات بهدف معرفة الواردات وتكريسها للصالح العام وكان أيضًا يراقب أحوال العمران في البلاد ويسجلها وهي مهمة واسعة تتعدى الاهتمام بالجند[3].

وأضاف السبكي بأنه: "ينظر في حال الأجناد وتجريد من يرى فيهم المصلحة والقدرة والكفاية وأن لا يكلف الفقراء أو يلزم الفلاحين بالفلاحة في الإقطاعات"[4].

ومن مهامه تولي الإقطاعات للجند وتوزيعها، والتهيئة لتعبئة المقاتلين وتوفير الأسلحة، وبناء وترميم الحصون والحاميات والقلاع[5]، فضلًا عن عمل سجلات خاصة بأصحاب

(1) زبدة كشف الممالك، ص113.
(2) النابلسي، لمع القوانين، ص23.
(3) النابلسي، لمع القوانين، ص23.
(4) السبكي، معيد النعم، ص33-34.
(5) ابن واصل، مفرج الكروب، ج2 / ص113؛ المقريزي، الخطط، ج1 / ص380.

الإقطاعات، كالجند والأمراء والقادة، وتدوين أسمائهم، وما انتقل إليه من الإقطاع حسب السنوات الهجرية[1].

وهنا ينقد ابن حجر وفق المؤهلات الإدارية التي يتمتع بها الشخص المنتقد، كأن يكون منحدرًا من عائلة اشتهرت بزمانها تسلمت مناصب إدارية بكفاءة وحنكة، الأمر الذي يسوغ مقبولية في الحياة العامة التي تزود المؤرخ بهذا الوصف الإيجابي، ونجد أن السلطان هو الذي كان يتابع ويراقب هذا الديوان ويعين له شخصية لها مؤهلات يحددها السلطان بنفسه[2].

ونجد هذا واضحًا في ترجمة ناظر الجيش يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين(ت729هـ/ 1328م)[3]، حيث كان "رئيسًا نبيلًا جوادًا يحب الفضلاء ويرعاهم متجملًا في زيه وملبسه وهو والد الرئيس ناصر الدين محمد بن يعقوب الذي ولي كتابة السر بحلب وبدمشق"[4]،

(1) النويري، نهاية الأرب، ج8 / ص 200 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4/ ص 30؛ حسن، تاريخ المماليك، ص 342.

(2) ابن حجر، الفضل المأثور، ص132.

(3) يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي شرف الدين، ناظر الجيش بحلب ثم بطرابلس تنقل في هاتين الولايتين مرارًا عدة ثم قدر أن مات بحماة، وقد جاوز الستين. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص434.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص434.

وكذلك في ترجمة ناظر الجيش موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين(ت732هـ/ 1331م)[1]، "كان محبًّا في الفضلاء وقورًا مهيبًا كثير المواساة"[2].

ومن المؤرخين من يصف صاحب الترجمة بصفات تدل على مكانته ومنزلته، وتأثيره في المجتمع آنذاك، وهذا ما نلحظه في ترجمة ابن حجر العسقلاني للناظر محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري محب الدين (ت787هـ/ 1376م)[3] "ولي نظر الجيش بالديار المصرية ففاق من قبله من الأكابر فضلًا عن

(1) موسى بن أحمد بن الحسين بن بدر بن أحمد بن قطب الدين، ولد سنة 661هـ/ 1263م، واشتغل وتمهر ثم عني بالمباشرات فولي ديوان الجيش بدمشق زمن الأفرم، ثم ولي نظر الجيش في أول ولاية الناصر الأخيرة بعد رجوعه من الكرك، ثم ولي نظر الجيش بمصر، ثم أعيد إلى الشام، واستمر إلى أن مات في ذي الحجة سنة 732هـ/ 1332م ودفن بتربته التي أنشأها بالصالحية. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص372.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص372.

(3) محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل المصري، ولد بالقاهرة سنة 697 هـ/ 1267م، وسمع من الرشيد ابن المعلم والشريف موسى بن علي الموسوي والشريف الزينبي وابن هارون وابن الشحنة وحسن الكردي وموسى بن عطوف في آخرين واشتغل وحصل فنونًا من العلم، وأخذ العربية عن أبي حيان والتلخيص عن الجلال مصنفه وأخذ عن التقي السبكي والقطب السنباطي والتاج التبريزي وشرح التسهيل شرحًا حسنًا. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص290.

أقرانه في المروءة والعصبية لجميع الناس ممن يقصده خصوصًا طلبة العلم فكان لهم في أيامه من المكارم والأفضال ما لا يعبر عنه ولا يحصى كثرة حتى أني لم أدرك أحدًا من المشايخ إلا ويحكي عنه في هذا الباب ما لا يحكيه الآخر ولم يزل في عزه وجاهه ومهابته إلى أن مات"[1].

(1) الدرر الكامنة، ج4/ ص290-291.

الفصل

الرابع

4

نقد الجـانب العلمي

أولاً: نقد رجال الدين

وفي ترجمة إبراهيم بن يزيد النخعي(ت 96هـ)[1]، نجد أن معظم المؤرخين قد عدوه ثقة[2]، باستثناء ابن حجر فقد ذمه بوصفه

(1) إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمر النخعي، ولد سنة 50هـ، كان أعور وكان تابعيًّا كوفيًّا، وقد وصف بأنه مفتي الكوفة مع الشعبي في زمانهما، وكذلك وصف بأنه صيرفي الحديث، وهو من محبي الإمام علي عليه السلام، وكان على خلاف مع الحجاج الثقفي، توفي سنة 95هـ. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص207 ؛ ابن معين، تاريخ ابن معين- الدوري، ج3، ص265؛ العجلي، معرفة الثقات، ج1، ص209؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج2، ص144؛ الدار قطني، السنن، ج3، ص122؛ المزي، تهذيب الكمال، ج2، ص137؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص74.

(2) العجلي، معرفة الثقات، ج1، ص209؛ تاريخ ابن معين- رواية الدوري، ج4، ص14؛ الباجي، التعديل والتجريح، ج1، ص358.

أنه كان يدلس في الأحاديث[1]، وهذا ما نجده أيضًا في ترجمة حبه ابن جوين البجلي (ت75هـ/ 694م)[2]، فقد وصفه ابن حجر بأنه من الغلاة[3]، وعند البحث في المصادر وجدنا أنه روى عن الإمام علي عليه السلام وعمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وروى عنه رشيد الهجري، ومسلم الأعور وسلمة بن كهيل، وآخرون[4]، فضلًا عن

(1) طبقات المدلسين، ج1/ ص28.

(2) حبة بن جوين بن علي بن عبد نهم بن مالك بن غانم العريني البجلي، ذكره ابن سعد من تابعي الكوفي. ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج5، ص351؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص177.

(3) تقريب التهذيب، ج1، ص150.

(4) المزي، تهذيب الكمال، ج5، ص351- 352.

اعتماد الطبري في أحداث معركة صفين[1].

وهذا ما نجده أيضًا فيذكر كلثوم بن جبر الخزاعي الكوفي، فقد وصفه بعبارة: "مقبول"[2]، وبالمقابل وصفه أحمد بن حنبل: "ثقة"[3]، ولكن نجد في الكتب التاريخية أن أغلب الكتب المعتبرة قد اعتمد على رواياته، ومنهم: البلاذري في ذكر أحداث معركة صفين، وأخبار يزيد بن المهلب، وسيرة عمار بن ياسر[4]، وكذلك نجده عند الطبري في أخبار النبي آدم عليه السلام[5]، فضلًا أنه روى عن الإمام علي عليه السلام، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن مسعود[6].

ففي ترجمة عبد الله بن سلمة المرادي (ت)[7]، فقد عده ابن

(1) التاريخ، ج4، ص27.
(2) تقريب التهذيب، ج1، ص462.
(3) العلل ومعرفة الرجال، ج2/ ص378.
(4) أنساب الأشراف، ج1/ ص197، ج3/ ص93، ج4/ ص72، ج8/ ص313.
(5) تاريخ الرسل والملوك، ج2/ ص90.
(6) ينظر: ابن حبان، الثقات، ج5/ ص336؛ الذهبي، ميزان الاعتدال، ج3/ ص413؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج8/ ص397.
(7) عبد الله بن سلمة الجهني المرادي يكنى أبا العالية، تابعي من أصحاب الإمام علي عليه السلام شهد الجمل وصفين. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص116؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج1/ ص147؛ البخاري، التاريخ الصغير، ج1/ ص201؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9/ ص460؛ المزي، تهذيب الكمال، ج15/ ص50؛ الذهبي، الكاشف، ج1/ ص559؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، ج1/ ص306.

حجر: "صدوق تغير حفظه"[1]، ولكن نجد إجماع المؤرخين على أنه ثقة[2]، فضلًا أنه روى عن الإمام علي عليه السلام وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، ومعاذ بن جبل، وآخرين[3]، وروى عنه البلاذري[4]، وخليفة بن خياط[5].

أما في ترجمة حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الكوفي(ت 119هـ/ 737م)[6]، فنجده يصفه بأنه ثقة لكنه يكثر الترسل والتدليس ووصفه بأنه كان فقيهًا جليلًا[7]، لكن نجد عند المؤرخين أنه مفتي أهل الكوفة[8]، أما العجلي وصفه بالثقة[9]، وامتدحه

(1) تقريب التهذيب، ج1/ ص306.
(2) العجلي، معرفة الثقات، ج2/ ص32؛ المزي، تهذيب الكمال، ج15/ ص52.
(3) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6L ص116؛ المزي، تهذيب الكمال، ج5/ ص51؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج5L ص212.
(4) نساب الأشراف، ج1/ ص195، ص94، 95، ج2/ ص64.
(5) التاريخ، 143.
(6) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6/ ص320؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج1/ ص159؛ الشيخ الطوسي، الرجال، ص112؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج/ ص116.
(7) ج1/ ص150.
(8) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6/ ص320؛ العجلي، معرفة الثقات، ج1/ ص181؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1/ ص116؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2/ ص156.
(9) معرفة الثقات، ج1/ ص281.

الشيخ الطوسي بقوله ثقة مجتهدًا[1].

ونجد من نص ابن حجر أنه أراد من نقده له بأنه كثير الإرسال في الروايات التي لم يأخذها مباشرة، وأنه لذلك يعد مدلسًا ولكنه جليل القدر في الفقه، نجد أن البلاذري اعتمد عليه في مروياته في سيرة عثمان بن عفان، وعمار بن ياسر، وأحداث معركة صفين[2]، وكذلك ابن خياط[3]، والطبري[4]، وفي المقابل نجد ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب يذكر أنه روى عن ابن عمر، وأنس بن مالك، وزيد بن أرقم، وسعيد بن جبير، وحصين بن عبد الرحمن، والثوري، وآخرين[5].

ونجد في بعض الأحيان أن ابن حجر يصف المترجم له بأنه ثقة ولكنه في نفس الوقت يشكك في أحاديثه، وهذا ما وجدناه في ترجمة عثمان بن عاصم بن حصين(ت 127هـ/ 744م)[6]، فيصفه ابن

(1) اختيار معرفة الرجال،ج1/ ص143

(2) أنساب الأشراف، ج1/ ص189، 196، 198، ج2، 289، 353، 356، 404، ج3، ص43، ج6، ص215؛ فتوح البلدان، ج2، ص353، ص377، ج3، ص548.

(3) التاريخ، ص146- 147.

(4) التاريخ، ج1، ص91، 138، ج2، ص447، 573، 576، ج3، ص139.

(5) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج2، ص156.

(6) عثمان بن عاصم بن حصين، الملقب أبي حصين الأسدي الكوفي من ولد عبيد الأبرص الشاعر، من أصحاب عامر الشعبي حتى قيل أن الشعبي -

حجر بأنه ثقة ثبت سني، غير أنه ربما كان يدلس[1]، وعند تفحصنا لأغلب المصادر وجدنا أن المزي على سبيل المثال أورد بأن لأبي حصين أربعمائة حديث عن رسول الله ﷺ كذلك عده من حفاظ أهل الكوفة[2]، فضلًا أن عددًا من علماء الرجال وصفوه بالثقة، وصاحب سنة[3]، وكذلك نجد اعتماد البلاذري على رواياته منها سيرة الإمام علي عليه السلام، وعن حجر بن عدي، وسير زياد بن أبيه، وعبيد الله بن زياد، ورواية استشهاد الحسين عليه السلام[4]، وهذا نجده عند الطبري في بدء الخليقة، والأنبياء موسى ويوسف عليهما السلام، وسيرة عمر بن الخطاب[5]، أما من روى عنهم: إبراهيم النخعي، وسعيد

عندما حضرته الوفاة- قيل له: (بمن تأمرنا قال ما أنا بعالم ولا أترك عالمًا وأن أبا حصين لرجل صالح) وكان أبو حصين عثماني الميول، واشتهر بأنه من قراء الكوفة ومن متقنيهم.ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج19، ص401؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص321؛ ابن خياط، الطبقات، ج1، ص159.

(1) تقريب التهذيب، ج1، ص384.

(2) تهذيب الكمال، ج19، ص403- 404.

(3) العجلي، معرفة الثقات، ج2، ص129؛ الرازي، الجرح والتعديل، ج6، ص160؛ الباجي، التعديل والتجرح، ج3، ص950؛ المزي، تهذيب الكمال، ج19، ص403؛ الذهبي، الكاشف، ج2، ص8؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج7، ص116

(4) أنساب الأشراف، ج3، ص19، 199، 412، ج4، ص12، ج5، ص208، 275، 407، ج10، ص118. 324، 364، ج13، 367.

(5) التاريخ، ج1، ص8، 61، 248، 280، ج3، ص273.

بن جبير، وعامر الشعبي، ومجاهد بن جبير، وكثيرين[1].

وفي ترجمة عامر بن شراحيل أو شرحبيل الشعبي(ت103هـ/ 721م أو 104هـ/ 722م)[2]، وصفه ابن حجر بأنه كان مرسلًا في أحاديثه مع أنه صحيح[3].

ويتفق أغلب المؤرخين أنه كان فقيه زمانه، وأن العلماء أربعة هم سعيد بن المسيب بالمدينة، ومكحول بالشام، وعامر الشعبي بالكوفة، والحسن بن أبي الحسن البصري بالبصرة[4]. فقد كان راوية للأخبار التاريخية ومغازي رسول الله ﷺ[5]، وامتدح بأنه

(1) المزي، تهذيب الكامل، ج19، ص401- 402.

(2) عامر بن شراحيل أو شرحبيل الشعبي، أصله من حمير، ولد سنة 21هـ/ 641م، يعد الشعبي من كبار تابعي الكوفة، من المقربين لعبد الملك بن مروان، فكان مؤدبًا لأولاده وقد اعتمده ببعوثه السياسية. ينظر: الطبقات الكبرى، ج6، ص246؛ خليفة بن خياط، الطبقات، ج1، ص57؛ السمعاني، الأنساب، ج3، ص432؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4.

(3) ابن حجر، تقريب التهذيب ج1، ص287.

(4) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص228؛ ابن عساكر، الأربعين البلدانية، ص157؛ المزي، تهذيب الكمال، ج31، ص192؛ ابن حجر،، تهذيب التهذيب، ج5، ص59؛ الكحلاني، سبل الإسلام، ج3، ص198.

(5) ينظر: الرازي، الجرح والتعديل، ج6، ص322؛ ابن حبان، الثقات، ج5، ص185؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج12، ص230؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص296؛ تذكرة الحفاظ، ج1، ص82؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج5، ص59؛ النووي، المجموع شرح المهذب، ج2، ص524؛ رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج5، ص54.

ليس هناك أحد أعلم سنة ماضيه من الشعبي[1].

وإذا أردنا الرد على ابن حجر نجد أن الشعبي يعد من بين أكثر مصادر البلاذري ورواته، فقد روى عنه ما يقرب من مائة واثنتين وتسعون رواية[2]،

أما خليفة بن خياط فإنه أخذ عنه ست عشرة رواية في ميادين تاريخية مختلفة[3]، واعتمده الطبري بحوالي مائة واثنتين وأربعين

(1) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص248- 254؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص301؛ تذكرة الحفاظ، ج1، ص82- 83؛ المزي، تهذيب الكمال، ج14، ص35؛

(2) أنساب الأشراف، ج1، ص17، 167، 190، 199، 201، 214، 215، 424، 491، ج2، ص42، 46، 68، 121، 167، 185، 224، 239، 254، 255، 256، 339، ج3، ص8، 61، 123، 134، 140، 249، 262، ج5، ص27، 58، 86، 223، 241،ج6، ص39، 267، 289، 319، 380، 385، 418، 20، 24، 86، 152، 203، 204، 206، 218، 246، 265، ج9، ص83، 431، ج10، ص12، 19، 21، 54، 58، 60، 82، 138، 218، 241، 296، 302، 312، 326، 327، 358، 359، 360، 367، 374، 375، 389أ376، 397، 429، 432، 368، ج11، 196، 215، 206، ج12، 318، ج13، 77، 112، 366، 367، 371، 382، 387، 398؛ فتوح البلدان، ج1، ص30، 89، ج2، ص298، 301، 303، 310، 315، 323، 327، 329، 332، 335، 339، 342، 354، 392، ج3، 556، 560، 576 .

(3) التاريخ، ص58، 59، 81، 78، 86، 92، 95، 103، 107، 109، 114، 139، 145، 150.

رواية، فضلًا عن بدء التدوين بالتاريخ الهجري[1].

ونحن نعلم أن أول من فتش عن الإسناد هو عامر الشعبي، حينما قرأ الربيع بن خثيم عليه حديثًا "قال الشعبي: فقلت من حدثك، قال: عمرو بن ميمون، وقلت له: من حدثك، فقال: أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ قال يحيى بن سعيد: وهذا أول ما فتش عن الإسناد"[2].

لم تقتصر جهد ابن حجر، على ما قدمه من النقد التاريخي الذي وجهه إلى السياسيين والإداريين بل نقد أيضًا علماء الدين من فقهاء ومحدثين، فالملاحظ أنه قد راعى فيهم العديد من الصفات، ومنها التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يعملونه.

(1) التاريخ، ج1، ص10، 65، 104، 129، 133، 134، 136، 188، ج2، ص59، 109، 110، 112، 113، 551، 532، 553، 554، 556، 558، 560، 562، 569، 573، 589، 632،ج3،ص7، 8، 25، 46، 53، 60، 62، 63، 67، 71، 72، 87، 89، 90، 92، 110، 128، 129، 132، 136، 139، 145، 151، 154، 164، 184، 190، 221، 242، 255، 304، 306، 307، 311، 315، 349، 365، 422، 426، 441، 445، 469، 493، ج4،ص32، 40، 46، 49، 69، 129، 167، 175، 188، 197، 224، 249، 307، 457، 494، 495،ج5،ص140، 177.

(2) الشهرزوري، مناهج المحدثين، ج1/ ص86.

ومن الفقهاء الذين انتقدهم نقدًا إيجابيًّا:

ذهب بعض المؤرخين إلى ذكر منزلة المترجم له ومكانته، وتتحدد هذه المنزلة بعبارات معينة، ومن الفقهاء الذين انتقدهم مؤرخو القرن التاسع الهجري نقدًا ايجابيًّا للمكانة العلمية التي احتلوها ومنهم: أبو بكر بن عبد الله النشائي (ت 716هـ/ 1316)[1] الذي "كان مشكور السيرة فقيهًا فاضلًا مناظرًا"[2]. وأحمد بن إبراهيم البصروي الفقيه الحنفي (ت 718هـ/ 1318م)[3]" وكان شيخًا فقيهًا فاضلًا، درس وأفتى"[4].

ومحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين(ت763هـ/ 1361م)[5] "كان بارعًا فاضلًا متقنًا في

(1) أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب النشائي، اشتغل كثيرًا وبرع وأتقن الفقه، وتعانى الكتابة فبرع فيها إلى أن ولي نظر الدولة ثم ولي الوزارة في أول سنة 706هـ/ 1306م، وكان قد ولي التدريس بالمدرسة التي بجوار الشافعي بالقرافة، ونظر الأحباس ونظر الخزانة. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص444.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص444.

(3) أحمد بن إبراهيم البصروي بن أحمد بن عتبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين الفقيه الحنفي، ولد في أوائل سنة 630هـ/ 1232م. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص81.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص81.

(5) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج القاقوني الفقيه الحنبلي شمس الدين، ولد في حدود سنة 712هـ/ 1312م وسمع من عيسى المطعم وجماعة =

علوم كثيرة... كان ذا حظ من زهد وتعفف وصيانة"[1].

وهذا ما نجده في ترجمة عبد الرحمن بن أحمد الغزي المعروف بابن الشحنة(ت 799هـ/ 1396م)[2] حيث قال:" كان كثير التودد للناس فيه اعتقاد وكان يقظًا نبيهًا يستحضر كثيرًا من ألفاظ المتون ويرد على القارئ ردًا مصيبًا، وكان صالحًا عابدًا قانتًا... وكان قد حضر دروس الشيخ تقي الدين السبكي وغيره أشتغل بالتكسب في حانوت بباب الفتوح ثم كبر فترك وحدث بالكثير، ومن كتبه المستخرج لأبي نعيم على صحيح مسلم ونحو الثلث الأول من صحيح ابن حبان ومسند أبي داود والسنن للشافعي"[3].

= واشتغل في الفقه وبرع فيه إلى الغاية وصاهر القاضي جمال الدين المرداوي وناب عنه في الحكم وصنف الفروع في مجلدين أجاد فيه إلى الغاية وأورد فيه من الفروع الغريبة ما بهر العلماء، ولا سيما في الفروع وله على كتاب المقنع شرح في نحو ثلاثين مجلدة وعلق على المنتقى للمجد ابن تيمية. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص261.

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج4/ ص262.

(2) عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حماد بن تركي بن عبد الله الغزي ثم القاهري أبو الفرج البزاز الفتوحي المعروف بابن الشحنة، ولد سنة 715هـ/ 1314م أو نحوها وسمع من يوسف بن عمر الختني وأبي الحسن علي بن عمر الواني ويونس بن إبراهيم الدبوسي وعلي بن إسماعيل بن قريش وعبد الله بن علي الصنهاجي، وكان عنده مسند أحمد وصحيح مسلم والسنن الكبير للبيهقي والمجالسة للدينوري وغير ذلك. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص324.

(3) المصدر نفسه، ج2/ ص325.

ومن النواحي التي يقع فيها النقد هو السلوك الديني للمترجم لَه، ومن الأمثلة على ذلك، ما أورده ابن حجر في ترجمة، إسماعيل بن سعيد الكردي المقرئ (ت720هـ/ 1319م)[1]، إذ قال: "رمي بالزندقة بسبب أنه كان كثير الهزل فحفظت منه كلمات قبيحة حتى صار يقال له إسماعيل الكافر وإسماعيل الزنديق"[2].

وبعضهم ينتقد السلوك الأخلاقي للمترجم له: كوصف ابن حجر للشيخ شمس الدين محمد بن غدير الواسطي المقرئ (739هـ/ 1364م)[3]: "وكان سيئ الخلق بذيء اللسان"[4].

انتقد ابن حجر الفقيه سراج الدين ابن الملقن(ت804هـ/

---

(1) إسماعيل بن سعيد الكردي المقري المصري، وكان عارفًا بالقراءات، قرأ على الشطنوفي، والصائغ. واشتغل بالفقه والنحو والتصريف، ويحفظ كثيرًا من التوراة والإنجيل، ويحفظ العمدة في الحديث. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص367؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3/ ص48.

(2) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص367.

(3) محمد بن أحمد بن علي بن غدير الواسطي الشيخ شمس الدين بن غدير المقرئ، نزيل القاهرة إمام مقرئ محقق ناقل بارع مجود، أخذ القراءات عن العز الفاروثي وصحبه مدة وجاور معه بمكة وسمع من عبد الله بن مروان الفارقي وغيره وكان ماهرًا في القراءات عارفًا بطرقها مستحضرًا تصدر للإقراء بجامع الحاكم. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص443.

(4) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص443.

1401م)[1]، قائلًا: "إنه كان يكتب في كل فن سواء أتقنه أو لم يتقنه... ولم يكن في الحديث بالمتقن ولا له ذوق أهل الفن... لم يكن بالحافظ بل الذين قرءوا عليه ورأوه من سنة سبعين فما بعدها قالوا إنه لم يكن بالماهر في الفتوى ولا التدريس وإنما كانت تقرأ عليه مصنفاته غالبًا فيقرر ما فيها، وبالجملة فقد اشتهر اسمه وطار صيته وكانت كتابته أكثر من استحضاره ولهذا كثر الكلام فيه من علماء الشام ومصر حتى قال ابن حجي: كان لا يستحضر شيئًا ولا يحقق علمًا وغالب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس"[2].

وهذا اتهام خطير قلما نجد له نظيرًا أن يقوم مؤرخ مشهور مثل ابن حجر بتبني اتهام بالسرقة لأحد المؤلفين أطلقه أحد العلماء المعاصرين له وهو ابن حجي الحسباني (ت 815هـ/ 1415م). وفي كتاب آخر له قدم ابن حجر نقدًا آخر لهذا العالم بقوله: "وقد جمع

(1) سراج الدين عمر بن أبي الحسن بن الملقن، ولد سنة (723هـ/ 1323م) في القاهرة، وتوفي والده وله من العمر سنة واحدة، فأوصى به إلى الشيخ شرف الدين عيسى المغربي (الملقن لكتاب الله) وكان صالحًا فتزوج أم سراج الدين ورباه فعرف سراج بابن الملقن نسبة إليه، وأقرأه القرآن وأنشأه ورباه تربيةً علميةً ودينيةً صالحةً. ومن مؤلفاته في فقه الشافعية (شرح المنهاج) لجمال الدين الإسنوي (ت 772هـ/ 1371م) و(التحفة والبلغة) و(شرح التنبيه) لعبد الله بن أبي عصرون (ت 585هـ/ 1189م) و(الخلاصة) و(جمع الجوامع) وغيرها. ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص257؛ السخاوي: الضوء، ج6/ ص100-102.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص275.

شيخنا العلَّامة، ذو التصانيف الواسعة، سراج الدين ابن المُلقَّن شيئًا من ذلك، وقفت عليه، فلم يشفِ لي غليلًا "[1]. ويفهم من هذا النص أنه يشير إلى أن مؤلفات ابن الملقن كبيرة الحجم لكن لا عمق علمي فيها، ويلاحظ أيضًا أن ابن حجر وقع فيما يمكن أن يوصف بالتناقض فهو ينعت شيخه بالعلَّامة ثم ينتقص من مؤلفاته.

ثانيًا: نقد المؤرخين

توفر ملكة النقد لدى المؤرخ أمرًا في غاية الأهمية، لأنه بدون ذلك لا يستطيع أن يميز بين الصحيح والسقيم، ولا يستطيع الحكم على ما بين يديه من أخبار أو روايات، وأن ابن حجر كان له حظ كبير في دقته وملاحظته، والإدلاء برأيه في مواضع عديدة، فكانت لديه النظرة النقدية التحليلية القادرة على الموازنة بين الأحداث وإصدار الحكم عليها، فتتجلى روح النقد لديه في نظرته التقييمية للمؤلفين والعلماء السابقين ولأعمالهم التي خلفوها، فمنهم من نال إعجابه وحظي بالثناء عليه، ومنهم من وقف معه وأبدى رأيه فيه وفيما كتبه.

فنقد المصدر خطوة تمهيدية لا بد من القيام بها حتى نستطيع الوصول إلى النص الحقيقي الذي وضعه مؤلفه، وتحديد المصدر الذي صدرت عنه، نقد ابن كثير مصادره في العديد من الروايات.

(1) رفع الإصر، ج1/ ص89.

نجده ينتقد ابن حبان، ما نجده في ترجمة حسان بن بلال المزني البصري(حدود 100هـ)، فقد ذكره ابن حبان في الثقات قائلًا : "قال يروي عن عمار إن كان قد سمع منه، وقال بن حزم مجهول لا يعرف له لقاء عمار قلت: وقوله مجهول قول مردود فقد روى عنه جماعة كما ترى ووثقه بن المديني وكفى به"[1].

أما في ترجمة سليمان بن يسار الهلالي(ت 107هـ)، كان مكاتبًا لأم سلمة روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة، فيرد كلام البزار قائلًا: "قال البزار لم يسمع من عائشة قلت وهو مردود فقد ثبت سماعه منها في صحيح البخاري"[2]. وإن ما يثبت صحة ما ذكره ابن حجر أن أغلب المصادر التاريخية توافق ما جاء به ابن حجر في تصويبه لتلك الرواية[3].

ونجد ابن حجر ينتقد ابن الجوزي لارتكابه خطأ في ذكره كلام سفيان الثوري عندما ترجم لسوار بن عبد الله بن قدامة العنبري (ت 156هـ) ما نصه: "وقد غلط بن الجوزي هنا غلطًا فاحشًا فذكر كلام سفيان الثوري في هذا في ترجمة حفيده المتقدم وذلك

(1) تهذيب التهذيب، ج2/ ص247.
(2) تهذيب التهذيب، ج4/ ص230.
(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج72/ ص229؛ النووي، تهذيب الأسماء، ج1/ ص235؛ المزي، تهذيب الكمال، ج12/ ص101؛ السيوطي، إسعاف المبطأ، ج1/ ص12.

وهم، فإن الثوري مات قبل أن يولد سوار الأصغر"[1]. فان تاريخ وفاة سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة وهو حفيد صاحب الترجمة سنة 245هـ[2]، وإن وفاة سفيان الثوري سنة 161هـ.

وهذا نجده أيضًا في نقده لتاريخ الطبري حيث نجد ذلك في ترجمة زياد بن علاقة بن مالك الثعلبي أبو مالك الكوفي(ت 125هـ) قائلًا: "ورأيت في تاريخ الطبري نقلًا عن هشام بن الكلبي أن زيادًا أدرك الجاهلية وهذا عندي غلط"[3]. وبهذا رفض ابن حجر هذه الرواية، وقد صحح تلك الرواية بالشاهد التاريخي، وأن سنة وفاة صاحب الترجمة سنة 135هـ وأنه عاش 100 سنة[4]. وهذا ما صرحت به أغلب المصادر التاريخية، ولكن هنالك اختلاف في سنة الوفاة فحدد سنة 125هـ[5].

أما نقده لابن المنادي(ت 336هـ)[6]، والذي عدة من

(1) تهذيب التهذيب، ج4/ ص269.
(2) ابن حبان، الثقات، ج8/ ص302؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج18/ ص291؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2/ 321.
(3) تهذيب التهذيب، ج3/ ص381.
(4) تهذيب التهذيب، ج3/ ص380.
(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8/ ص101؛ مغلطاي، إكمال تهذيب الكمال، ج5/ ص117؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15/ ص10؛
(6) ابن المنادي: أحمد بن جعفر بن المحدث محمد بن عبيد الله بن أبي داود بن المنادي البغدادي، ولد سنة 257هـ، عالم بالتفسير والحديث، من أهل =

الأغلاط الفاحشة، ففي ترجمة سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي الأعمش(ت 148هـ) ما نصه: "وقول بن المنادى الذي سلف أن الأعمش أخذ بركاب أبي بكرة الثقفي غلط فاحش، لأن الأعمش ولد أما سنة 61هـ أو سنة 59هـ، على الخلف في ذلك وأبو بكرة مات سنة إحدى أو اثنتين وخمسين فكيف يتهيأ أن يأخذ بركاب من مات قبل مولده بعشر سنين أو نحوها وكأنه كان والله أعلم أخذ بركاب بن أبي بكرة فسقطت بن وثبت الباقي وإني لأتعجب من المؤلف مع حفظه ونقده كيف خفي عليه هذا"[1].

ونجده في بعض الأحيان يصحح الرواية بأسلوب التعجب والرفض، ففي ترجمة الصحابي مالك بن الحويرث أنه توفي سنة 94هـ، حسب ما ذكره ابن عبد البر، فيردها ابن حجر ويعلق على ذلك بقوله: "ذكره بن عبد البر أنه توفي سنة أربع وتسعين، وتبعه على ذلك بن طاهر وغيره وفيه نظر، بل لا يصح ذلك لاتفاقهم على أن آخر من مات بالبصرة من الصحابة أنس بن مالك حتى إن بن

= بغداد، دفن في مقبرة الخيزران. قيل: صنف في علوم القرآن 400 كتاب. وقال ابن النديم: له مائة ونيف وعشرون كتابًا. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج11/ ص542؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج6/ ص180؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1/ ص353، الزركلي، الأعلام، ج1/ ص107.

(1) تهذيب التهذيب، ج4/ ص225-226.

عبد البر ممن صرح بذلك، والظاهر أن ذلك تصحيف وأن وفاته سنة أربع وسبعين بتقديم السين"[1].

ثالثًا: نقد الأدباء واللغويين

وجّه المؤرخون المصريون خلال القرن التاسع الهجري عدة أنواع من النقد للمترجم لهم، ومن هؤلاء، الأدباء واللغويون، الذين يؤكدون في نقدهم على السيرة العلمية للمترجم له، من حيث معرفته بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها، وعروض الشعر وقوافيه، أي المقاييس اللغوية التي حددها علماء اللغة لجودة الأسلوب وفصاحته.

لقد اتَبَع ابن حجر النقد الإيجابي والسلبي للشخصيات المُتَرجم لها، ففيما يتعلق بالنقد الإيجابي، نجد أنه قد رَكز على طائفه من الأدَباء واللغويين ممن فاقوا أقرانَهم في هذه الصَنعة، ولَهُم مؤلفات فيها، ومنهم: الأديب عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي(ت768هـ/ 1366م)[2]، الذي وصف بأنه: "كان مشكور السيرة ماهرًا في الفقه والأدب، ونظم قصيدة على

(1) تهذيب التهذيب، ج10/ ص14.

(2) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي، ولد قبل الثلاثين واشتغل وتمهر وتميز في العربية والفقه والقراءات والأدب، وله شرح درر البحار تصنيف الشيخ شمس الين القونوي الذي جمع فيه مجمع البحرين وضم إليه مذهب أحمد، وعاش القونوي بعده مدة طويلة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص421.

قافية الراء من بحر الطويل ألف بيت، ضمنها غرائب المسائل في مذهب الحنفية وشرحها في مجلدين وهي نظم جيد متمكن"[1].

والأديب يوسف بن الحسن المنصورية الحموي (ت 810هـ/ 1408م)[2] "جدّ ودأب وحصّل إلى أن تميّز ومهر، وفاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم"[3].

والشاعر علي بن محمد بن إسماعيل الزبيدي (ت812هـ/ 1410م) "اشتغل بالأدب ففاق أقرانه... وكانت طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تعاني المعاني التي لهج بها المتأخرون "[4].

ويصف ابن حجر المَكانة العلمية التي احتلها المترجم له من بين أقرانهِ، وفي الوقت ذاته ينتقدهُ سلبيًّا في موقف آخر، بأنه ادَعى

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص424.

(2) يوسف بن الحسن بن محمّد بن الحسن بن مسعود بن علي بن عبد الله بن خطيب المنصورية الحموي القاضي جمال الدين، ولد في سنة 737هـ/ 1337م، أخذ عن بهاء الدين الإخميمي المصري بدمشق وصدر الدين الخابوري وتاج الدين السبكي وجمال الدين الشريشي، شرح الاهتمام مختصر الإلمام في ست مجلدات وألفيّة ابن مالك وفرائض المنهاج وغير ذلك، درس وأفتى، وله نظم حسن وشهرة ببلده وغيرها. ينظر: ابن القاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج1/ ص207؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص336؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5/ ص186؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج2/ ص342.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص336.

(4) المصدر نفسه، ج1/ ص364.

أنْ شعره يشبه شعر المتنبي، وأبي تمام، كَقولهِ في وصف الشاعر محمد بن الحسن بن عيسى المكي الحلوي (ت 815هـ/ 1412م): "تعاني النظم فمهر فيه وفاق أقرانه إلا أنه كان عريض الدعوى يحسب أن شعره يشبه شعر المتنبي وأبي تمام"[1].

وكذلك في وصف الشاعر علي بن سعيد الخياط الصبيبي الملقب بالشوش (ت 738هـ/ 1337م)[2] إذ قال: "كان يتعانى النظم ويدعي إنه أشعر من المتنبي وأبي تمام وينشد من شعره الكثير فيعجب به ويحلف إن الإنس والجن يعجزون أن يأتوا بمثله وكان قليل البضاعة من العلم"[3].

وانتقد الأديب أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب (794هـ/ 1392م)[4]، لأنه كان يمدح الأكابر

(1) المصدر نفسه، ج1/ 402.

(2) علي بن سعيد الصبيبي بمهملة وموحدتين مصغرًا علاء الدين أبو سعيد الخياط الشاعر يلقب بالشوش بمعجمتين الأولى مضمومة والواو ساكنة ولد(بعد 700هـ/ 1298م) نسبة إلى قلعة الصبية وهي قلعة بين صفد ودمشق، ومدينة هذه القلعة بليدة بانياس. ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص51-52.

(3) المصدر نفسه، ج3/ ص51-52.

(4) أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب القاهري، ولد قبل(746هـ/ 1345م)، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفًا. =

ونظم في الوقائع وله بديعية على طريقة الحلي ولم يكن ماهرًا في العربية وقد تهاجى هو والأديب البارع شرف الدين عيسى العالية وجمع كتابًا سماه: نزه الناظر في المثل السائر وغير ذلك[1].

وابن حجر لم يعط دليلًا على عدم معرفة المترجم باللغة العربية، ولهذا فالبحث يقتضي الوقوف على الترجمة لمؤرخ أكثر قربًا للمترجم من ابن حجر العسقلاني، ونجد ترجمته عند المقريزي بما يخالف ما جاء به ابن حجر إذ قال: "قرأ القراءات، وأخذ طرفًا من الفقه على مذهب الشافعي، وغلب عليه الأدب، وأكثر منه بحيث لم تكن واقعة ولا حادثة من جد أو هزل إلا وينظم فيها، كان لطيف العشرة، حسن الصحبة، حاضر النادرة، وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ينظم الفنون السبعة، وصحبته سنين عديدة، وأنشدني كثيرا"[2]. فالصحبة التي امتدت لسنوات عدة جعلت من المقريزي أكثر دراية به من غيره.

ونضيف إلى هذا ما ذكره ابن تغري بردي عنه قائلًا: "وكان بارعًا ذكيًّا، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفًا... ونظم الشعر وهو ابن

= المقريزي، درر العقود، ج1/ ص203-206؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص388-389؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص177.

(1) المصدر نفسه، ج1/ ص287.

(2) درر العقود، ج1/ ص203-206.

ثلاث عشرة سنة، وكان له اليد الطولى في النظم والنثر"[1].

ويبدو أن ابن تغري بردي اعتمد ترجمة المقريزي وليس ابن حجر؛ لأن الأديب المترجم مات قبل ولادة ابن تغري بردي سنة 813هـ/ 1410م فكان لابد أن يترجم له بالاعتماد على المصادر فوقع اختياره على ترجمة المقريزي له.

وهذا ما نَجدهُ أيضًا في ترجمة الشاعر محمد بن أحمد بن كميل المنصوري (ت 849هـ/ 1445م): "اشتغل كثيرًا وحفظ الحاوي، وكان يستحضر ونظم الشعر ففاق الأقران"[2].

ولكن في الوقت نفسه يَصف ابن حجر هذه الشَخصية بأن الغرض من شعره خدمةُ أغراضِهِ الشَخصية، كنحو قوله :"له مدائح نبوية مفلقة وقصائد في جماعة من الأعيان، ولم يكن يتكسب بذلك وإنما يمدح لتحصيل جاه الممدوح في الدفع عنه أو المساعدة له"[3].

بالفعل تولت هذه الشخصية- وعن طريق المدح في الشعر- عدة مناصب سياسية وإدارية، منها نيابة الحكم وقضاء بالمنصورة[4].

ونلحظ أن ابن حجر قد استعمل في كتابه إنباء الغمر عدة

(1) المنهل الصافي، ج2/ ص177-178.

(2) المصدر نفسه، ج2/ ص206.

(3) المصدر نفسه، ج1/ ص336.

(4) المصدر نفسه، ج2/ ص206.

ألفاظ نقدية للمترجم لهم، وحين نتفحص هذه النقودات يتضح أنها تعكس السلوك الديني والاجتماعي، فمن الأمثلة التي يقع فيها النقد هو السلوك الديني والعلمي للمترجَم لَه، وذلك ما أورده في ترجمة شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة التلمساني (ت 776هـ/ 1375م)[1]، ما نصه: "كان حنفي المذهب حنبلي المعتقد، وكان كثير الحط على الاتحادية، وصنف كتابًا عارض به قصائد ابن الفارض[2]، كلها نبوية، وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي ﷺ،

(1) أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد شهاب الدين التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة، نزيل دمشق ثم القاهرة، ولد بزاوية جده بتلمسان سنة (726 هـ/ 1326م)، مهر في الأدب، ونظم الكثير، ونثر فأجاد، وترسل ففاق، وعمل المقامات وغيرها، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفًا: من ذَلِكَ كتابة ديوان الصبابة، والسكردان، وله خمسة دواوين في مدح الرسول ﷺ، وسبع أراجيز سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة، مع كثرة النظم وسرعة البديهة، وخفة الروح والتخيل الصحيح، وكان حنفي المذهب حنبلي المعتقد، ومات في ذي القعدة سنة(766هـ/ 1375م)، في الطاعون. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص329-330؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1/ ص139-140.

(2) ابن الفارض: شرف الدين أبو القسم عمر بن أبى الحسن علي بن المرشد بن على الحموي المصري العارف المشكور والشاعر المشهور، له ديوان شعر لطيف وأسلوب فيه رائق طريف ينحو منحى طريقة الفقراء، جمع في شعره بين صنعة عشاق الجناس والطباق وبين معاني القوم الرقاق ورموزهم الدقاق. ومن العجب اجتماع الحالين وشتان ما بين الطريقين،=

ويحط على نحلته ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظائم، وقد امتحن بسبب ذلك على يد السراج الهندي. قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه: كان ابن أبي حجلة يبالغ في الحط على ابن الفارض حتى أنه أمر عند موته فيما أخبرني به صاحبه أبو زيد المغربي أن يضع الكتاب الذي عارض به ابن الفارض وحط عليه فيه في نعشه ويدفن معه في قبره، ففعل به ذلك، وكان يقول للشافعية إنه شافعي، وللحنفية إنه حنفي، وللمحدثين إنه على طريقتهم. قال: "كان بارعًا في الشعر مع أنه لا يحسن العروض، وعارض المقامات فأنكروا عليه. قال: وكان كثير العشرة للظلمة ومدمني الخمر"[1].

ويتضح من النص السابق أن السبب والدافع وراء نقد ابن حجر لابن أبي حجلة، كان دافعًا دينيًّا مذهبيًّا، فابن حجر شافعي المذهب، وصاحب الترجمة حنبلي المذهب، والدليل على هذا أن المقريزي وكذلك ابن تغري بردي يروي خلاف ما جاء عند ابن حجر فيقول: "الأديب البارع شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد، المعروف بابن أبي حجلة التلمساني الحنفي، شيخ صهريج منجك"[2].

في حين يصفه ابن تغري بردي بقوله: "كان إمامًا بارعًا، عالمًا

= توفي سنة 632هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج3/ ص454؛ ابن الغزي، ديوان الإسلام، ج1/ ص71.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص27.

(2) المقريزي، السلوك، ج2/ ص289.

فقيهًا، أديبًا شاعرًا... ومهر في عدة علوم، وغلب عليه الأدب، وقال الشعر الجيد، وصنف ودوّن، ومصنفاته كثيرة تبلغ ستين مصنفًا: من ذَلِكَ كتابة ديوان الصبابة، والسكردان، وله خمسة دواوين في مدح الرسول ﷺ، وسبع أراجيزا سبعة آلاف بيت، وأما الشعر فله فيه اليد الطولى والمعاني الغريبة والاختراعات العجيبة مع كثرة النظم وسرعة البديهة وخفة الروح والتخيل الصحيح"[1].

ويؤيد التقي الغزي ما ذكره المقريزي وابن تغري بردي في علمية المترجم له، فيذكر نوادره وآثاره الفكرية التي تشرح الصدر كنحو قوله:"كان كثير النوادر، والنكت، ومكارم الأخلاق... وجمع مجاميع حسنة؛ منها:(ديوان الصبابة) و(منطق الطير) و(السجع الجليل فيما جرى من النيل) و(السكردان) و(الأدب الغض) و(أطيب الطيب) و(مواصيل المقاطيع) و(النعمة الشاملة في العشرة الكاملة) و(نحر أعداء البحر) و(عنوان السعادة) و(دليل الموت على الشهادة) و(قصيرات الحجال) وغير ذلك... وله شعر كثير، وعنده أدب غزير، ومن أراد غير ها هنا، فعليه بمراجعة دواوينه، ومطالعة مجاميعه، فإن فيها ما يُقر العين، ويشرح الصدر"[2].

مما قد يلحق بهذا الجانب الطَّعن في المترجم من جهة كونه

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1/ ص139-140؛ النجوم الزاهرة، ج3/ ص229.

(2) التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية، ج1/ ص158-159.

على معتقد يحكم ابن حجر ببطلانه، فقد انتقد الشاعر أبو بكر بن بهادر بن سنقر(ت779هـ/ 1377م)[1]، فيقول: "كان كثير الهجاء وبلغ ديوانه مجلدات وكان شيعيًّا... ويقال كان صحيح العقيدة إلا أنه يحب أهل البيت وسلك في شعره طريق الإغراب وكان يوسوس عند النية ليقرنها بالتكبير في أول الصلاة فربما كرر التكبير حتى يفرغ الإمام من الرباعية وكان يدعى أنه يجتمع بالجن ويقال إنه اجتمع بابن تيمية فقال له: بلغني أنك تفضل بلالًا على علي، فقال ابن تيمية: أنا ما فضلته ولكن الله فضله، قال: في أين؟ قال: في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾، فقال له: في الاستدلال بهذه الآية على المدعي نظر، قال: أجلس أقرره لك، فأبى وقال: بلغني أنك ما ناظرت أحدًا فقطعك"[2].

وهذا نلحظه أيضًا في ترجمة زين الدين ابن الخراط (ت 840هـ/ 1436م)[3] نزيل القاهرة، الأديب الشاعر، اشتغل

(1) أبو بكر بن بهادر بن سنقر الشاعر أسد الدين، وكان يلقب أسد الدين وسيف الدين، وكان له أقطاع، وكان قد سمع من ابن مشرف. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص57.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص57.

(3) زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد اللهّ، المعروف بابن الخراط المروزى الأصل، ثم الحموى، الأديب، الشاعر، مولده بحماة في سنة (777هـ/ 1375م)، ونشأ بحلب وتفقه بها، وبرع في الأدب، واتصل بخدمة نائبها الأمير جكم من عوض، وله فيه غرر مدائح، ثم ولي في الدولة المؤيدة شيخ كتابة سر طرابلس، ثم عزل عنها، وولي كتابة =

بالفقه ثم تولع بالأدب واشتهر، وأكثر من مدح الأكابر من أهل حلب... واعتراه في آخر عمره انحراف بعد أن كان في غاية اللطافة والكياسة... وكان كثير النفور من الناس جدًّا[1].

ولكن نرى ابن تغري بردي يختلف مع ابن حجر في نقده لهذه الشخصية فيقول: "كان فاضلًا، أديبًا بليغًا، كان يسلك في نظمه الفحولية وطريقة السلف من القوة والحماسة، ومدح الملك الأشرف بقصيدة عندما أسر الأشرف ملك قبرس جينوس الفرنجي، وأنشدها بحضرته في أعيان الدولة، وخلع عليه... وأجاب الشيخ زين الدين المذكور أهل المغرب، لما أرسلوا لطلب نجدة من الملك الأشرف برسباي، بقصيدة طنانة سمعتها من لفظه، ثم قال والله ما يقدر أحد يجيب مثل هذه القصيدة، وبلغ ما قاله الحافظ شهاب الدين قاضي القضاة شيخ الإسلام ابن حجر فقال: نعم، صدق"[2].

والحق أن هذا الحكم القطعي الذي أصدره ابن تغري بردي بحق هذا الأديب مدعيًا فيه تفوقه على جميع الأدباء، وعجزهم عن

= الإنشاء بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني المحرم سنة(840هـ/ 1436م). ينظر: المقريزي، السلوك، ج3/ ص397؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج2/ ص138؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص108.

(1) ابن حجر، إنباء الغمر، ج2/ ص138.

(2) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص109.

مجاراة شعره، لا يمكن الأخذ به، والغريب أن بعض المؤرخين الذين ترجموا له وافقوه على ذلك أو سكتوا عن رده، وبهذا يكون ابن تغري بردي قد ابتعد عن نقد هذه الشخصية لوجود صحبه بين الاثنين فيقول: "كان صاحبنا، وأنشدنا كثيرًا من شعره"[1].

أما فيما يخص النقد العلمي للمترجم له، فلم يكن ملمًّا بفنون اللغة العربية، التي تعد من أهم أدوات الأديب، فيذكر ابن حجر في ترجمة، أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين ابن العطار الأديب (ت794هـ/ 1392م)[2]: "لم يكن ماهرًا في العربية، فيوجد في شعره اللحن، وقد تهاجى هو وعيسى بن حجاج وله "نزهة الناظر في المثل السائر" وكان حاد البادرة، وله ديوان قصائد نبوية نظمها بمكة سماها "فتوح مكة" ديوان في مدائح ابن جماعة سماه "قطع المناظر بالبرهان الحاضر" و"الدر الثمين في التضمين"[3].

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4/ ص222.

(2) أحمد بن محمد بن علي الدنيسري شهاب الدين بن العطار الأديب القاهري ولد قبل(746هـ/ 1345م)، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، ثم تولع بالأدب ونظم الشعر، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفًا. المقريزي، درر العقود، ج1/ ص203-206؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1/ ص388-389؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص177.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص166.

وابن حجر لم يعطِ دليلًا على عدم معرفة المترجم باللغة العربية، ولهذا فالبحث يقتضي الوقوف على الترجمة لمؤرخ أكثر قربًا للمترجم من ابن حجر العسقلاني، ونجد ترجمته عند المقريزي بما يخالف ما جاء به ابن حجر، إذ قال: "قرأ القراءات، وأخذ طرفًا من الفقه على مذهب الشافعي، وغلب عليه الأدب، وأكثر منه بحيث لم تكن واقعة ولا حادثة من جد أو هزل إلا وينظم فيها، كان لطيف العشرة، حسن الصحبة، حاضر النادرة، وقال الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ينظم الفنون السبعة، وصحبته سنين عديدة، وأنشدني كثيرًا"[1]. فالصحبة التي نوه إليها المقريزي امتدت لسنوات عدة، جعلت من المقريزي أكثر دراية وعرفه به من غيره.

ونضيف إلى ذلك ما ذكره ابن تغري بردي عنه قائلًا: "كان بارعًا ذكيًّا، وعنده فضيلة تامة ومشاركة جيدة في عدة علوم، وله تصانيف مفيدة تزيد عَلَى ثلاثين مصنفًا، ومن مصنفاته كتاب نزهة الناظر في المثل السائر، وعنوان السعادة في المدائح النبوية، ولطائف الظرفاء، وفرائد الإعصار في مدائح النبي المختار، والمسلك الفاخر موشحات نبوية أيضًا، وصلة المستحق، وكتاب صدقة السر، وفنون مكة مدائح نبوية، والعهود العمرية مرجز في أمر النصارى واليهود، وبديع المعاني في أنواع التهاني، والدر الثمين في حسن التضمين، ونتائج الأفكار، وزهر الربيع في التشابيه، وحسن الاقتراح في

(1) درر العقود، ج1/ ص203-206.

وصف الملاح، ذكر فيه ألف مليح وصفاتهم... ونظم الشعر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان له اليد الطولى في النظم والنثر"[1].

ويبدو أن ابن تغري بردي اعتمد ترجمة المقريزي وليس ابن حجر؛ لأن الأديب المترجم مات قبل ولادة ابن تغري بردي سنة 813هـ/ 1410م فكان لابد أن يترجم له بالاعتماد على المصادر فوقع اختياره على ترجمة المقريزي له.

ونقد ابن حجر الأديب فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس (ت 822هـ/ 1419م)[2]:"كان قليل البضاعة من العربية فربما وقع له اللحن الظاهر وأما الخفي فكثير جدًّا"[3].

(1) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2/ ص1770-178.

(2) فضل الله بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، ولد في شعبان سنة 769هـ/ 1367م، ونشأ في نعمة وعز في كنف أبيه، فتخرج وتأدب ومهر ونظم الشعر وهو صغير السن جدًّا، وكان أبوه يصحب الشيخ بدر الدين البشتكي فانتدبه لتأديب ولده، ونظم الشعر الفائق، وباشر في حياة أبيه توقيع الدست بدمشق وكان أبوه وزيرًا بها، ثم قدم القاهرة وساءت حالته بعد أبيه، ثم خدم في ديوان الإنشاء وتنقلت رتبته فيه إلى أن جاءت الدولة المؤيدية، فأحسن القاضي ناصر الدين البارزي كثيرًا واعتنى به. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص479؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج6/ ص172.

(3) ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص479.

وكان على ابن حجر أو غيره من المؤرخين، حينما ينتقدون أحدًا أن يدللوا على ذلك بأدلة تاريخية، إذ كان بإمكانه أن يذكر أمثلة على ما وقع به من اللحن.

ونلحظ في بعض الأحيان أن ابن حجر ينتقد شعر المترجم له بشكل واضح: فمن ذلك قوله في ترجمة الحسن بن محمد بن علي العراقي(ت 803هـ/ 1400م): "كان شاعرًا ماهرًا يمدح الأكابر ويتكسب"[1].

ونستنتج من هذا النقد أن ابن حجر قد انتقد حالة اجتماعية كانت بارزة في تلك الفترة وما زالت وهي نظم الشعر لدافع اقتصادي هو توفير سبل العيش.

(1) المصدر نفسه، ج1/ ص258.

الفصل

الخامس

5

نقد الجانب الاجتماعي

قسَّم المؤرخ ابن خلدون المجتمع المصري إلى سلطان ورعية[1]، وقصد بالسلطان السلطة الحاكمة والفئات المرتبطه بها، أما الرعية فهم المصريون بجميع طوائفهم وفئاتهم، وأما المقريزي (ت845هـ/ 1441م) فقد قسَّم المجتمع المصري في عصره إلى سبع طوائف[2]، فقد جعل أهل الدولة على رأس الهرم ثم بيَّن تفاوت المستوى الاقتصادي لكل فئة حسب نشاطها في المجتمع وجعل أهل اليسار من التجار وأولي النعمة من ذوي الرفاهية على قمة الرعية، يليهم متوسطو الحال من التجار وأرباب السوق، وأهل الفلح، والفقهاء ويشملون طلاب العلم، وأرباب الصنائع والمهن، وذوو الحاجة والمسكنة[3].

(1) المقدمة، ص183.

(2) إغاثة الأمة، ص72-73.

(3) السلوك، ج2/ ص811؛ عاشور، المجتمع المصري، ص17.

ومن البديهي أنه كانت هنالك فوارق بين الشرائح الاجتماعية، فالمجتمع المصري قد انقسم إلى طبقتين هما الحكام والمحكومون، وأن بعض فئات المصريين كانت على قدر من الثراء بفضل التجارة أو غيرها، مما جعلهم يتميزون عن بقية الرعية، ونلاحظ أن هنالك فئات قد أصبحت ضمن الفئات الخاصة المقربة من السلطة الحاكمة، وقد تقدموا في الدولة فبعضهم أصبح يتولى عدة مناصب مهمة منها منصب القضاء فضلًا عن تولي التدريس وهذا ما نجده في مهنة الطب أيضًا.

أما فيما يخص فئة التجار التي برزت في عصر السلاطين المماليك وأصبحت مقربة من السلطة الحاكمة بسبب توليهم مناصب مهمة في الدولة، وحاجة الدولة إليهم في تلبية متطلباتهم من البضائع والسلع والرقيق.

ومن فئات المجتمع الأخرى أصحاب المهن والصناعات الذين

امتهنوا عدة صناعات كان لها تأثيرها في المجتمع المصري، فسوف نلحظ أن هنالك من الصناع من مهر في صنعته وقد لقب بلقب المعلم، وأن من المهن من أصبح لها مكانة وعلاقة بالسلطة الحاكمة وهي مهنة البناء والهندسة، أما مهنة التجليد والنسخ فمرتبطة ارتباط بالجانب العلمي لكونها لها علاقة بالتدوين.

وسيلحظ المتأمل في ترجمة هؤلاء الحرفيين أن المؤرخين لم يذكروا أغلب سنيّ وفياتهم، فضلا عن الاستطراد بتفصيل تراجمهم؛ ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى إن هؤلاء أصحاب مهن شعبية أغلبهم من الطبقة العامة، ولم يكونوا من المشاهير كي تحفظ تواريخ وفياتهم.

كانت مصر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، قد شهدت اهتمامًا بالطب والأطباء، وسوف نستعرض سيرهم للوقوف على سلوكياتهم ومجهوداتهم لخدمة المجتمع.

كما نلحظ بروز بيوتات اشتهرت بصنعة الطب مثل أسرة ابن صغير، وعلى الرغم من قلة المؤلفات الطبية لأطباء بني صغير فإن شهرة العائلة تكمن في أنها قدمت أطباء عالجوا سلاطين المماليك وأمرائهم، وبخاصة في عهد الظاهر برقوق (784-801هـ/ 1382-1399م)، وقد ذاعت شهرة أحد أفراد هذه الأسرة في عصر سلاطين المماليك، لما كان يتصف به من صفات تمثلت بروح التسامح ومساعدة الناس بمال قد أفرده للثواب، فضلًا عن مساعدتهم بقيمة الدواء، وهو الطبيب علي بن عبد الواحد المعروف

بابن صغير (ت 798هـ/ 1396م)[1] الذي ترجمه ابن حجر بقوله: "كان فاضلًا مفننًا انتهت إليه المعرفة ... وكان له مال قدره خمسة آلاف دينار قد أفرده للقرض، فكان يقرض من يحتاج إلى ذلك برهن من غير استفضال بل ابتغاء للثواب، كان يصف الدواء للموسر بأربعين ألفًا ويصف الدواء في ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس"[2]. وهكذا نجد أن إشادة ابن حجر بهذا الطبيب جاء عبر تقييم مكانته كطبيب وإجادته لهذه المهنة، ومن ثم تعامله مع المرضى والمحتاجين بإنسانية قلما نجدها عند الأطباء المترجمين، ولذلك نال المدح الذي سجله عنه ابن حجر.

واستمرت إشادة المؤرخين بمكانة الأطباء المهنية، وهذا ما نجده في ترجمة سليمان الدمشقي (732هـ/ 1332م)[3] الذي قال

(1) علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير علاء الدين بن نجم الدين بن شرف الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية، مات بحلب في ذي الحجة، ثم نقلته ابنته إلى مصر فدفنته بتربتهم، وكان ذا حدس صائب جدًا يحفظ عنه المصريون من ذلك أشياء، وكان حسن الصورة بهي الشكل جميل الشيبة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص79؛ إنباء الغمر، ج1/ ص182.

(2) الدرر الكامنة، ج3/ ص80.

(3) سليمان بن داود بن سليمان الدمشقي رئيس الأطباء، سمع شيئًا من الحديث على الكمال الدنيسري بقراءة البرزالي، وطلب إلى أسندمر نائب طرابلس وهو ضعيف فعالجه فبرىء فأعطاه كثيرًا واشتهر أمره وكان لا يعرف شيئًا من الحكمة وإنما يعرف الطب بالتجارب وكان يصحب الصاحب شمس الدين وحصل كتبًا عظيمة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص151.

عنه ابن حجر:" اشتغل بالطب وتعانى العلاج فمهر فيه جدًّا "[1].

من المعروف أن مصر قامت بنشاط تجاري كبير بين الشرق والغرب، مما أدى إلى ثراء التجار وجعلهم طبقة مترفة ومتنفذة إلى حد بعيد، وقد أدرك سلاطين المماليك هذه الحقيقة، وأحسوا أن طبقة التجار دون غيرها هي المصدر الأساس الذي يمد الدولة بالمال، لاسيما في ساعات الحرج والشدة، لذلك عمد السلاطين إلى تقريب التجار منهم، واصطفوا منهم ندماء وأصحابًا، وهذا أمر نادر الحصول لغير المماليك، وهكذا أصبحت لهذه الفئة مع مرور الوقت مكانة متميزة في عصر سلاطين المماليك، بل إن بعضهم تقلد مراكز مهمة في الدولة، فإذا أرادوا مدح شخص قالوا عنه إنه "من بيت تجارة ووجاهة"[2]، وفي دمياط أبيح لبعض التجار أن ينوبوا عن قضاتها[3]، وكذلك نلحظ أن هنالك ميزه قد امتاز بها بعض التجار تتعلق بحفظهم للقرآن وتبحرهم بالعلوم الدينية وبالأخص الفقه[4].

ولهذا كان بديهيًّا أن يصبح لهذه الفئة تأثيرٌ ما على المجتمع، حتى إن بعض السلاطين لم يستطيعوا تجاهل هذه الشريحة المهمة،

(1) المصدر نفسه، ج2/ ص151.
(2) السخاوي، الضوء اللامع، ج4/ ص485.
(3) المصدر نفسه، ج4/ ص485.
(4) المصدر نفسه، ج1/ ص136 ص71،ص 136، ج2/ ص246، ج3/ ص154.

فعمدوا إلى إشراكهم في الحياة السياسية، وكانت ممارسة التجارة على جميع مستوياتها من أهم الأنشطة الاقتصادية، وكان لوجوه التجار مكانة اجتماعية مميزة في عصر المماليك.

ونلحظ أن هنالك من التجار من كان له جاه عند السلاطين، وممن كان لوفاته الحزن والتأسف من قبل بعض السلاطين، ففي ترجمة الخواجا[1] عثمان بن محمد الأسعردي (ت 783هـ/ 1381م)[2]، ذكر ابن حجر: "كان له جاه وصيت في البلاد"[3]، والسبب في ذلك أن هذا التاجر كان من بين التجار الذين أحضروا والد السلطان برقوق إلى القاهرة[4].

ومن التجار من كان يتصف بالتسامح، فجعلوا للفقراء نصيبًا من ثروتهم من باب التقوى، وهذا ما نجده في ترجمة ابن طسان

(1) الخواجا: من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسي ومعناه السيد والخواجكي بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة وكأن الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب. القلقشندي، صبح الاعشى، ج6/ ص12.
(2) عثمان بن محمد بن أيوب بن مسافر الإسعردي، الخواجا، التاجر في المماليك، هو الذي أحضر والد برقوق إلى القاهرة، وهو الذي أحضره من قبل أبيه في دولة الأشراف، وكان قد سعى في إبطال مكس الرمان بدمشق، فأجيب إلى ذلك. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص90.
(3) المصدر نفسه، ج1/ ص90.
(4) المصدر نفسه،ج1/ ص90.

(ت786هـ/ 1384م)[1]، الذي:" كان أحد التجار المياسير، وله إحسان وأفضال ومال، ولا يشدد في تقاضي ماله من الدين، ويتصدق"[2].

ويظهر من هذا الكلام أن المجتمع المصري كان يعاني من الفقر بسبب سياسات السلاطين المماليك مما دفع التجار الميسورين إلى مساعدة الناس الفقراء.

إن الحرف والصناعات تكشف عن حالة المجتمع من حيث درجة ثرائه ورفاهية أبنائه أو ما هو خلاف ذلك، والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك كان مجتمعًا طبقيًا في اتجاهاته وعلاقاته، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح على كافة مظاهر الحياة اليومية، وأن طبيعة النظام السياسي في ذلك العصر قد فرضت أنماط الحرف والصناعات التي ازدهرت في المجتمع المصري، كما أنها جعلت بعض هذه الحرف ترتبط بالناس في حين ارتبطت أخرى بالحكام.

وهذا ما نجده أيضًا في ترجمة ابن حجر لمحمد كمال الدين[3]

(1) يوسف بن أحمد بن ذبيان بن أبي الحسن البعلي، جمال الدين، التاجر، المعروف بابن طسان. ينظر: ابن حجر، إنباء الغمر، ج1/ ص107.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص107.

(3) محمد كمال الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم الجلال أبو عبد الله بن الشهاب العباسي بن السكمال الأنصاري القاهري الشافعي، ولد سنة 843هـ/ 1439م بالقاهرة وحفظ القرآن وجوده عن الزين عبد الغني الهيثمي وكذا وجود الخط عن ابن الحمصاني المقري =

الذي: "تكسب مع النساخة بحانوت في البر مع خير واستقامة وتقنع، وكثر تردده إلى بل كتب لي ولغيري من تصانيفي. ونعم الرجل دينًا وإنجماعًا وسكونًا "[1].

وكانت صناعة السكر إحدى الحرف الغذائية المهمة في عصر سلاطين المماليك لارتباطها بمظاهر حياة الرفاهية التي عاشها السلاطين والأمراء من ناحية، ولارتباطها ببعض الاحتفالات والعادات والتقاليد الاجتماعية من جهة أخرى. وقد مدح مؤرخو التراجم بعض من امتهن هذه الصناعة، وهذا ما نجده في ترجمة تاج الدين القلعي المصري[2] "باشر بعض مطابخ السكر وكان كريم النفس متوددًا محبًا للمحدثين بشوشا "[3].

لم يغفل مؤرخو القرن التاسع الهجري بإثبات علاقتهم بمترجميهم في مواضع كثيرة، مبينين رأيهم فيهم نقدًا أو تقويمًا، وبهذا

= ويس وكتب به كثيرًا من تصانيف أخيه وغيرها بل قرأ بحثًا على المحيوي الدماطي المنهاج وغالب شرح الألفية لابن أم قاسم وعلى الجوجري جمع الجوامع وعلي الشرواني في أصول الدين والمنطق. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص458.

(1) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3/ ص458-459.

(2) عبد الله بن علي بن عبد الواحد الأطفيحي تاج الدين القلعي المصري، سمع من البهاء محمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان وحسن بن عمر الكردي والواني والدبوسي وعبد الله بن يوسف الدلاصي. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2/ ص276.

(3) المصدر نفسه، ج2/ ص276.

شمل النقد التاريخي سواء كان إيجابيًّا أم سلبيًّا شخصيات تتصل بالمؤرخ بصلة القرابة، أو صداقة أو زمالة، وتتحدد تلك العلاقة من حديث المؤرخ الذي يترجم لتلك الشخصية، من حيث سنوات الصحبة أو الرفقة في السفر، أو اتصاله عن طريق اشتغاله معه في الأمور الإدارية، وأحيانًا يذكر المؤرخ هذه الصحبة ويؤكد عليها بعبارة معينة.

وإن نقد المؤرخين لهؤلاء قد تميزت بالدقة؛ لأنهم عايشوا المترجمين، وشاهدوا واطلعوا على سلوكياتهم، وخبروا أحوالهم، وكل ذلك قد ساعدهم في إصدار أحكام أقرب ما تكون إلى الواقع.

ومن الألفاظ التي تدل على العلاقة الطيبة التي تربط المؤرخ مع صاحب الترجمة وهي عبارة (وكانت بيننا مودة) والتي تؤدي إلى نقده نقدًا إيجابيًّا، وهذا ما نجده في ترجمة حسين بن علي الأذرعي (ت814هـ/ 1411م)[1] إذ قال فيه ابن حجر:" وفاق في الفنون ودرس وأفتى وناظر، وناب في الحكم ثم تركه تورعًا... وكانت بيننا مودة، سمعت منه نظمًا وسمع مني "[2].

---

(1) حسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الأذرعي ثم الصالحي بدر الدين ابن قاضي أذرعات، تفقه في صباه على الشرف ابن الشريشي والنجم بن الحاني وتعانى الأدب، ناب في الحكم ثم تركه تورعًا، وهو ممن أذن له البلقيني بالإفتاء لما قدم الشام، وكان يثني عليه كثيرًا، ودخل القاهرة بعد الكائنة العظمى، ومات بالطاعون. ينظر: ابن حجر: إنباء أنباء الغمر، ج1/ ص387.

(2) المصدر نفسه، ج1/ ص387.

الخاتمة

في ضوء دراستنا للنقد التاريخي عند ابن حجر في كتابه إنباء الغمر بأنباء العمر توصلنا إلى جملة من النتائج، نذكرها على النحو الآتي:

- أن منهجية النقد التاريخي في القرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد مثلت صفحة مشرقة من صفحات التدوين التاريخي، وأن مصر بصورة خاصة كانت تمثل مركز الإشعاع الفكري للدولة العربية الإسلامية في تلك الفترة.
- امتزج النقد التاريخي مع (الجرح والتعديل)، فنلاحظ أن ابن حجر كانت ألفاظه النقدية تعبر عن أنه محدث وفقيه ومؤرخ، فيستخدم في نقده للأدباء واللغويين ألفاظًا لها علاقة بعلم الرجال، منها (كان عاريا من العلم) (كان بذيء اللسان) (لم يكن ماهرًا في العربية) (كان قليل البضاعة).

- من خلال تتبع كتاب إنباء الغمر في التراجم والحوادث، تَبين أن النواحي التي يقع فيها النقد، هي السلوك الديني، والسلوك الأخلاقي للمترجم له، فضلًا عن نقد السيرة العلمية.
- إن ابن حجر قد راعى في الأدباء واللغويين العديد من الصفات، ومنها التولع بالعلم، والمعرفة بالاستحضار، والتمهر فيما يعملونه.
- نجد بعض الأدباء والشعراء قد استغلوا الشعر بدافع سياسي هو التقرب إلى الأعيان والسلاطين لتولي عدة مناصب، أو بدافع اقتصادي هو توفير سبل العيش.
- الذي يمكن تسجيله على ما جاء في تراجم التجار عند المؤرخين المصريين خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، أن أغلب أحكامهم جاءت إيجابية بحق أولئك

التجار المترجمين، وربما عاد ذلك إلى أن أغلب هؤلاء كانت لديهم ثقافة دينية، حيث درسوا القرآن والحديث والفقه فأثر ذلك في تعاملهم مع الناس وعلى ممارستهم لمهنة التجارة، والغريب أن تراجمهم إجمالًا كانت أفضل لكثير من تراجم القضاة عند مؤرخي مصر، إذ تعرض القضاة إلى نقد لاذع جراء ما اقترفوه من تجاوزات حطت من قيمة منصب القضاء، على الرغم من أن القضاة تثقفوا دينيًّا أيضًا.

- برزت شخصية ابن حجر العلمية في نقده ما وقع به المؤرخون من أغلاط وأخطاء في عرضهم للروايات التاريخية، بالرغم من ثقته بمؤلفي مصادره، إلا أن أساليب نقده تنوعت من خلال بعض المصطلحات التي استخدمها بالنقد من تعجيب واستغراب، أو رد الخطأ عنهم بسقط، أو سهو، أو نسيان، داعمًا رأيه بالأدلة التاريخية التي تُعضد صحة رأيه، فضلًا عن المشاركة بآرائه وتعليقاته وتحليلاته في الروايات المختلف في صحتها.
- امتاز منهج ابن حجر بالجمع بين آراء موارده عند سرد الرواية التاريخية، فضلًا عن الدقة والملاحظة أثناء النقل من مصادره، وفضلًا عن المقارنة بين التراجم.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأولية

- القرآن الكريم

الإبشيهي، شهاب الدين محمد (ت850هـ/ 1446م)

1. المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1986م).

ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الجزري، (ت/ 606هـ – 1209م)

2. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطانجي، المكتبة العصرية (بيروت، د.ت)

ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت729هـ/ 1328م)

3. معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبين ليفي، (لندن 1938) .

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت370هـ/ 980م).

4. تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية،(القاهرة، 1964م).

الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن(ت772هـ/ 1370م)

5. طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد (وزارة الأوقاف 1971م).

ابن إياس الحنفي، محمد (ت 930هـ/ 1524م)

6. بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة بولاق، (مصر 1314هـ) والمطبعة الأميرية، (مصر 1311هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت256هـ)

7. التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد – الدكن، د.ت)

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي(ت 779هـ/ 1377م)

8. رحلة ابن بطوطة، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، (بيرت والقاهرة، د. ت)

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت 874 هـ/ 1469م).

9. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، (كاليفورنيا،1930– 1931م).

10. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق وتقديم: فهيم محمد شلتوت، ط2، دار الكتب المصرية، (القاهرة، 1998م).
11. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، مطبعة النصر المصرية (القاهرة، 1985م).
12. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب العلمية (بيروت، 1992م).

الجبرتي، عبد الرحمن (ت 1237 هـ/ 1822 م)

13. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الهيئة العامة المصرية للطباعة والنشر (القاهرة، 1978 م).

ابن جماعة، بدر الدين (ت733هـ/ 1332م).

14. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مطبعة الباكر (قطر، 1985م).

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي (ت 327هـ)

15. الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (الهند، 1952م)

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: 1067هـ/ 1656م).

16. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشورات مكتبة المثنى (بغداد، د.ت).

ابن حجر، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت 852هـ/ 1449م).

17. إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة، 1998م).
18. تهذيب التهذيب، دار صادر، (بيروت، د. ت).
19. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل (بيروت، 1993م).

20. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: حامد عبد المجيد وآخرين، مطبعة الأميرية (القاهرة، 1961 م).

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت900هـ/ 1494م)

21. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، (بيروت: 1975م)

الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت876هـ/ 1471م).

22. شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، دار الحرية (بغداد، 1979م).

الخطيب التبريزي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 502هـ/ 1107م)

23. شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1983م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت 808هـ/ 1405م).

24. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت 1966-1967م).
25. المقدمة، دار الرائد العربي، (بيروت، 1402هـ).

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت: 321هـ/ 933م).

26. جمهرة اللغة، مكتبة المثنى، (بغداد، 1926م).

الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت736هـ/ 1335م)

27. كنز الدرر وجامع الغرر، المشهور بالدر المطلوب في أخبار بني أيوب تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، 1972م).

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان قايماز (ت 748هـ/ 1348م)

28. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، دار الكتاب العربي(بيروت، 2002م).

29. دول الإسلام في التاريخ، تحقيق فهيم شلتوت، (القاهرة 1974م).

30. سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط،ط3، مؤسسة الرسالة(1985 م).

31. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة، 1992م).

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666 هـ/ 1277م) .

32. مختار الصحاح، دار الكتاب الحديث (الكويت 1407هـ/ 1987م).

الزبيدي : محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/ 1790م).

33. تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).

سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلو (ت654هـ/ 1256 م)

34. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد، 1952م).

السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ/ 1369 م)

35. طبقات الشافعية الكبرى(القاهرة، 1324هـ).

36. معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علب النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، (مصر، 1948م).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت 902 هـ/ 1496 م).

37. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي (ت 230هـ)

38. الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1990م).

السمناني، أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد الرحبي (ت 499هـ/ 1106م).

39. روضة القضاة وطريق النجاة، تحقيق: صلاح الدين الناهي، مطبعة أسعد (بغداد، 1389هـ/ 1970م) .

ابن سيدة، أبو الحسن بن إسماعيل (ت 458 هـ/ 1066م) .

40. المخصص، مطبعة المكتب التجاري للتوزيع والنشر، (بيروت، د. ت).

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت 911هـ/ 1505م).

41. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر(1979م).

42. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، 1967م).

43. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1403م).

44. قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق: أحمد بن محمد الحمادي، إدارة الشؤون الإسلامية، (الدوحة، 1994م).

45. نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب حتى، المكتبة العلمية(بيروت، 1927م).

أبو شامة، شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (ت665هـ/ 1266م)

46. تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري المعروف بـ"الذيل على الروضتين"، تصحيح : محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، (بيروت، 1974م).

ابن شاهين، أحمد بن علي بن خليل الظاهري (ت 873هـ/ 1468 م)

47. زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق: بولس راوبس المطبعة الجمهورية، (باريس 1894م).

الشوكاني، محمد بن علي (ت 1250 هـ/ 1834 م).

48. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، نشره معروف عبد الله باسندو، مطبعة السعادة (القاهرة، 1348 هـ).

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت774هـ/ 1372م)

49. نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشره السيد الباز العريني، (القاهرة 1964).

الصفدي، خليل بن أيبك (764هـ/ 1362م).

50. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت- 2000م).

51. الوافي بالوفيات، باعتناء إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1970)0

الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود (ت 900 هـ/ 1494 م).

52. إنباء الهصر بأنباء العصر، حسن حبشي، دار الفكر العربي (القاهرة، 1970م)

53. نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب (القاهرة، 1970 م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م)

54. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (القاهرة، 1969م) .

الطرابلسي، علاء الدين أبو الحسن علي بن خليل الحنفي (ت 882هـ/ 1504م)

55. معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، المطبعة الميمنية (القاهرة، 1310هـ) .

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت 709هـ/ 1309م).

56. الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر (بيروت، 1966م).

ابن طولون، محمد بن علي الصالحي (ت 953 هـ/ 1546 م)

57. مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار المصرية (القاهرة، 1964م).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل الحنبلي البغدادي (ت 739هـ/ 1339م) :

58. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، 1954م).

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت 1111هـ/ 1699م)

59. سمط النجوم العوالي في إنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، (القاهرة،1380هـ).

ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي الدمشقي العسكري (ت1089هـ/ 1678م)

60. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي (د.ت).

العمري، شهاب الدين بن فضل الله (ت 749 هـ/ 1348 م)

61. التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة (القاهرة، 1312هـ).

العيني، بدر الدين محمود (ت 855هـ/ 1451م).

62. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق: فاضل جابر ضاحي، دار تموز(دمشق، 2014م).

63. السيف المهند في تاريخ الملك المؤيد، تحقيق: فهيم شلتوت، دار الكتاب العربي، (القاهرة، 1967م).

64. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي، مطبعة علاء (القاهرة، 1985 م).

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت 1061هـ/ 1650م)

65. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ط 2، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1979م).

الغساني، إسماعيل بن العباس (ت 803هـ/ 1400م)

66. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامي، دار البيان (بغداد، 1975م).

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد(732 هـ/ 1331 م)

67. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية (القاهرة، 1325 هـ) .

ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر أحمد (ت851هـ/ 1447 م)

68. تاريخ بن قاضي شهبة، تحقيق عدنان درويش (دمشق، 1977م)

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 671هـ/ 1272م)

69. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم، مطبعة دار الكتب، (القاهرة 1967م).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (682 هـ/ 1283 م)

70. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1960م) .

القلقشندي: شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت 821 هـ/ 1418 م).

71. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، مطبعة الأميرية (القاهرة، 1913 م).

72. مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت (الكويت، 1964م) .

الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1362م).

73. عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، دار الرشيد (بغداد، 1980م).

74. فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1974م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت450هـ/ 1058 م).

75. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الحرية للطباعة (بغداد،1989م).

76. أدب الوزير (الوزارة)، تحقيق محمد سليمان داوود وفؤاد عبد المنعم أحمد، دار الجامعات المصرية (1976م).

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف،(ت 742هـ)

77. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة(بيروت، 1980م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ/ 875م)

78. الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1955م) .

مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري (ت 762هـ)

79. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر(2001 م)

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسين(ت845هـ/ 1441 م).

80. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والنشر(القاهرة، 1940م).

81. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي (2002م).

82. السلوك لمعرفة دولة المماليك، تحقيق مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، 1936).

83. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مطبعة مؤسسة الحلبي (القاهرة، 1270 هـ).

ابن مماتي، أسعد شرف الدين أبو المكارم بن أبي سعيد (ت 606 هـ/ 1209م).

84. قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر (مصر، 1943م).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ/ 1311 م)

85. لسان العرب، دار صادر (بيروت، 1968 م) .

النابلسي، عثمان بن إبراهيم (ت 632 هـ/ 1234 م).

86. لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، مطبعة مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د. ت).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ/ 1332 م)

87. نهاية الأرب في فنون الأدب، دار النهضة للطباعة والنشر (القاهرة-1942).

الهمداني، فضل الله رشيد الدين (ت 718 هـ/ 1318 م)

88. جامع التواريخ، ترجمة، محمد صادق نشأت وآخرين، تقديم: يحيى الخشاب، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، 1960م).

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الحموي(ت626هـ/ 1266م).

89. معجم البلدان، دار صادر (بيروت،1959 م) .

ثانيًا : المراجع الثانوية

أحمد، محمد منصور

90. الشرق الأوسط في موكب الحضارة (الحضارة العربية الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة،1960م).

الأنباري، عبد الرزاق علي

91. النظام القضائي في بغداد في العصر العباسي، مطبعة النعمان (النجف، 1977م).

باشا، سعاد علي

92. الخطط التوفيقية الجديد ولمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة بولاق (القاهرة، 1306 هـ).

باشا، أمين سامي :

93. تقويم النيل وأسماء من تولوا أمر مصر ومدة حكمهم عليها وملاحظات تأريخية عن أحوال الخلافة العامة وشؤون مصر الخاصة (1 – 1332هـ/ 622 – 1914م)، المطبعة الأميرية (القاهرة، 1915م).

البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين (1339هـ/ 1920م).

94. هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).

التكريتي، محمود

95. الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، مطبعة دار الرشيد (بغداد، 1981م).

حسن، علي إبراهيم

96. مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، (القاهرة، 1963م).

حسين، أحمد

97. موسوعة تأريخ مصر، دار الشعب للطباعة والنشر، (القاهرة، 1979م).

الخربوطلي، علي حسني

98. مصر العربية الإسلامية – السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، د ت).

الدجيلي، عبد الصاحب عمران

99. أعلام العرب في العلوم والفنون، (النجف، 1966م).

دهمان، محمد أحمد

100. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر (بيروت، 1990م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي

101. الأعلام، دار العلم للملايين، (2002 م).

رضا، أحمد

102. معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، (بيروت، 1960م).

أبو زيد، سهام مصطفى

103. الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1986م).

زيدان، جرجي

104. تأريخ آداب اللغة العربية، تعليق: شوقي ضيف، دار الهلال(مصر، د.ت).

105. تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق، حسين مؤنس، دار الهلال(القاهرة، د.ت) .

السامرائي، حسام قوام

106. المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، مكتبة دار الفتح، (دمشق 1971م).

سرور، محمد جمال الدين

107. دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1947م).

سعيد، إبراهيم حسن

108. البحرية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف (الإسكندرية، 1983م).

سعيد، خليل

109. منهج البحث التاريخي، (بغداد د.ت).

سليم، محمود رزق

110. الأشرف قانصوه الغوري، الدار العربية المصرية،(القاهرة، د.ت).

111. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب (القاهرة، 1962م).

سليمان، أحمد السعيد

112. تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأُسر الحاكمة، دار المعارف، (القاهرة، 1969م).

شاكر، محمود

113. التأريخ الإسلامي – العهد المملوكي، المكتب الإسلامي، (بيروت، 2000م).

شلبي، أحمد

114. موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،(مصر وسوريا من مطلع الإسلام حتى العهد الحاضر – الحروب الصليبية – الإمبراطورية العثمانية)،(القاهرة، 1979م).

ضاحي، فاضل جابر

115. كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دراسة وتحليل، دار الضياء للطباعة والنشر، (2009م).

116. العزوف عن الزواج بين المؤلفين في العصور الإسلامية، دار تموز(دمشق، 2013م)

117. محاضرات في منهج البحث التاريخي، دار الضياء،(2008م)

طرخان، إبراهيم علي

118. النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط، (القاهرة، 1968م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح

119. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية(القاهرة، 1992م).

120. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، (القاهرة،1972م).

عاشور، فايد حماد

121. العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف، (القاهرة، 1976م).

عبد الدايم، عبد العزيز محمود

122. مصر في عصري المماليك والعثمانيين، مكتبة النهضة، (القاهرة، 1996م).

عثمان، حسن

123. منهج البحث التاريخي، دار المعارف (القاهرة 1976) .

العريني، الباز

124. المماليك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (بيروت، 1967م).

عز الدين، محمد كمال الدين

125. التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، دار إقرأ للنشر والتوزيع والطباعة (لبنان، 1984م).

العلايلي، عبد الله

126. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد: نديم وأُسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، (بيروت، 1974م).

عنان، محمد عبد الله

127. مصر الإسلامية وتأريخ الخطط المقريزية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1969م).

128. مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، د. ت) .

فروخ، عمر

129. تأريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، (بيروت، 1972م).

فليح، مناهل فخر الدين

130. التعليم في ظل دولة المماليك 648 – 923هـ مجلة آداب الرافدين، العدد 10، جامعة الموصل : 1979م.

كحالة، محمد رضا

131. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مطبعة الترقي (1957 م).

ماجد، عبد المنعم

132. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة، 1986م).

133. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة، 1967م).

مبارك، علي باشا

134. الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب، (القاهرة، 1969م).

مصطفى، شاكر

135. التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين (بيروت، 1979م)

مؤنس، حسين

136. أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، (القاهرة 1987م).

الهاشمي، أحمد

137. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، (بيروت، د.ت).

اليسوعي، لويس معلوف

138. منجد الطلاب، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، 1979م).